

فتوح الغيب

للباز الاشهب الشيخ عبد القادر الجيلي
"قدس الله روحه"

بتتحقق دكتور / جمال الدين فالح الكيلاني

مركز الاعلام العالمي
دكا - بنغلاديش

فتح الغيب

للباز الأشهب الشيخ عبد القادر الجيلاني
"قدس الله روحه"

بتحقيق

دكتور/ جمال الدين فالح الكيلاني

الطبعة الأولى

رمضان 1435هـ ، يوليو 2014م

إصدار

مركز الإعلام العالمي داكا - بنغلاديش

01715398775:

سعر النسخة : 80 تاكا

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

كثير من طلاب العلم لا يعرفون سيرة الباز الأشهب الشیخ عبد القادر الجیلانی ، بل کثیر منهم يسيئ الظن به بسبب الدعاية الكاذبة التي يقوم بها بعض الأدعیاء الجفاة الجاهلون بحقيقة دین الله العظیم.

ومن جانب آخر نجد مسلمین یغلون في تعظیمه ويعتقدون فيه أشياء افتريت عليها ، لذا وجدت نفسي في حاجة إلي بيان سيرته الحقيقة رحمه الله ، والعمل على إعادة نشر بعض كتبه صحیحه النسبه اليه ومنها كتاب "فتح الغیب" - من نفائس الكتب التي تییر الطريق، وتأخذ بيد السالک إلى أعلى مراتب أهل التحقیق، لما یجده فيه من فوائد سلوکیة ومعارف ذوقیة، وتریة علمیة عملیة للنفوس وتنزکیتها، وطهارة للقلوب وتنقیتها، من غرس للفضائل وإنتزاع للرذائل، وقمع للشهوات، وتدريب على الصبر والرضا والطاعات.. ومن أجل هذا إهتم به العلماء على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم، فتناولوه بالشرح، والتعليق، والإقتباس من أنواره وأثاره في مؤلفاتهم. ولما كان هذا الكتاب بهذه الأهمیة رأیت إعادة نشره لعموم نفعه، فقمت بترجمة المؤلف والتعريف به، وضبط ما أشكل من ألفاظه والتعليق عليه حسب ما یقتضيه المقام. وقد إعتمدت على النسخة المطبوعة بمطبعة الحلبي سنة 1392 هـ .

في زمان الوهن والفتن قل من يوجد من أهل العلم يختار طريق الوسطیة والاعتدال ، وبكوني والله الحمد من دعاة الوسطیة والاعتدال والتراحم والتضامن في المجتمع الإسلامي أصبح من أعمالي المفضلة نشر سيرة العلماء والأکابر الربانیین المعتدلین. وهذا العمل من قبيل ذلك العمل المفضل .

هنا لابد ان اشكر الناشر البنغالي ،على تكليفه بأعداد هذه النشرة الخاصة، وهذه ثقة أعتز بها.
أرجو من الله ربى الثواب علي هذا العمل والنفع به طلاب علم النبوة علي صاحبها أفضل الصلاة
والسلام.

جمال الدين فالح الكيلاني

بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

هو عبد القادر الجيلاني (470 هـ - 561 هـ)، إمام صوفي وفقيه حنبلـي، لقبه المسلمين بـ "باز الله الاشهـب" و "تاج العارفين" و "محـيـي الدـين" و "شـيخ الشـيوـخ" و "قطـب الأقطـاب". وإليـه تـنـتـسـب الطـرـيقـة الـقـادـرـية. وقد تـأـثـرـ به القـائـدـ صـلـاحـ الدـينـ الأـيـوـيـيـ، والـشـيـخـ معـيـنـ الدـينـ الجـشـتـيـ ، والـشـيـخـ شـهـابـ الدـينـ عـمـرـ السـهـورـدـيـ رـحـمـهـمـ اللهـ.

مولده ونشأته

هـنـاكـ خـلـافـ فـيـ مـحـلـ وـلـادـتـهـ [1]ـ وـتـوـجـدـ روـاـيـاتـ مـتـعـدـدـةـ ، أـهـمـهـاـ أـنـهـ وـلـدـ فـيـ جـيـلـانـ (ـتـقـرـأـ بـالـجـيـمـ العـرـيـةـ كـمـاـ تـقـرـأـ بـالـجـيـمـ المـصـرـيـةـ فـيـقـالـ لـهـاـ جـيـلـانـ أـوـ كـيـلـانـ)ـ سـنـةـ 470ـ هـ المـوـافـقـ 1077ـ مـ [2]ـ ، وـهـيـ تـقـعـ فـيـ شـمـالـ إـيـرـانـ حـالـيـاـ عـلـىـ ضـفـافـ بـحـرـ قـزوـينـ وـيـقـالـ أـنـهـ وـلـدـ فـيـ جـيـلـانـ الـعـرـاقـيـةـ وـهـيـ قـرـيـةـ تـارـيـخـيـةـ قـرـبـ الـمـدـائـنـ 40ـ كـيـلـوـ مـتـرـ جـنـوبـ بـغـدـادـ ، وـهـوـ مـاـ تـرـجـحـهـ الـدـرـاسـاتـ التـارـيـخـيـةـ الـحـدـيـثـةـ وـتـعـتـمـدـ الـأـسـرـةـ الـكـيـلـانـيـةـ بـبـغـدـادـ [3]ـ [4]ـ وـقـدـ نـشـأـ عـبـدـ الـقـادـرـ فـيـ أـسـرـةـ وـصـفـتـهـ الـمـصـادـرـ بـالـصـالـحةـ ، فـقـدـ كـانـ وـالـدـهـ أـبـوـ صـالـحـ مـوـسـىـ مـعـرـوـفـاـ بـالـزـهـدـ وـكـانـ شـعـارـهـ مـجـاهـدـةـ النـفـسـ وـتـرـكـيـتـهـ بـالـأـعـمـالـ الصـالـحةـ وـلـذـاـ كـانـ لـقـبـهـ "ـمـحـبـ الـجـهـادـ"ـ [5]ـ .

أسرته

• هو: أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان [6].

أنجب عبد القادر رحمة الله عدداً كبيراً من الأولاد، وقد عنى بتربيتهم وتهذيبهم على يديه واشتهر منهم عشرة:

- عبد الوهاب: وكان في طليعة أولاده، والذي درس بمدرسة والده في حياته نيابة عنه، وبعد والده وعظ وأفتى ودرس، وكان حسن الكلام في مسائل الخلاف فصيحاً ذا دعابة وكيسة، ومروءة وسخاء، وقد جعله الإمام الناصر لدين الله على المظالم فكان يصلح حاجات الناس إليه، وقد توفي سنة 573هـ ودفن في رباط والده في الحلة.
- عيسى: الذي وعظ وأفتى وصنف مصنفات منها كتاب "جواهر الأسرار ولطائف الأنوار" في علم الصوفية، قدم مصر وحدث فيها ووعظ وتخرج به من أهلها غير قليل من الفقهاء، وتوفي فيها سنة 573هـ.
- عبد العزيز: وكان عالماً متواضعاً، وعظ ودرس، وخرج على يديه كثير من العلماء، وكان قد غزا الصليبيين في عسقلان وزار مدينة القدس ورحل جبال الحيال وتوفي فيها سنة 602هـ، وقبره في مدينة "عقرة" من أقضية لواء الموصل في العراق.
- عبد الجبار: تفقه على والده وسمع منه وكان ذا كتابة حسنة، سلك سبيل الصوفية، ودفن برباط والده في الحلة.
- الشيخ عبد الرزاق: وكان حافظاً متقدناً حسن المعرفة بالحديث فقيها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ورعاً منقطعاً في منزله عن الناس، لا يخرج إلا في الجمعة، توفي سنة 603هـ، ودفن بباب الحرب في بغداد.
- إبراهيم: تفقه على والده وسمع منه ورحل إلى واسط في العراق، وتوفي بها سنة 592هـ.
- يحيى: وكان فقيها محدثاً انتفع الناس به، ورحل إلى مصر ثم عاد إلى بغداد وتوفي فيها سنة 600هـ، ودفن برباط والده في الحلة.
- موسى: تفقه على والده وسمع منه ورحل إلى دمشق وحدث فيها واستوطنها، ثم رحل إلى مصر عاد إلى دمشق وتوفي فيها وهو آخر من مات من أولاده.
- صالح: وبه يكفي أغلب البلدان وذكرته أغلب المصادر المتخصصة في سيرته وهو مدفون قرب والده في بغداد.

سفره إلى بغداد

كان عبد القادر الجيلاني رحمه الله قد نال قسطاً من علوم الشريعة في حداثة سنّه على أيدي أفراد من أسرته، ولمتابعة طلبه للعلم رحل إلى بغداد ودخلها سنة 488 هـ الموافق 1095 م [7] في عهد الخليفة العباسي المستظاهر بالله . وبعد أن استقر في بغداد انتسب إلى مدرسة الشيخ أبو سعيد المخرمي التي كانت تقع في حارة باب الأزج، في أقصى الشرق من جانب الرصافة، وتسمى الآن محلة باب الشيخ.

وكان العهد الذي قدم فيه الشيخ الجيلاني إلى بغداد تسوده الفوضى التي عمّت كافة أنحاء الدولة العباسية، حيث كان الصليبيون يهاجمون ثغور الشام، وقد تمكّنوا من الاستيلاء على أنطاكية وبيت المقدس وقتلوا فيها خلقاً كثيراً من المسلمين ونهبوا أموالاً كثيرة. وكان السلطان التركي "بركياروق" قد زحف بجيش كبير يقصد بغداد ليرغّم الخليفة على عزل وزيره "ابن جهير" فاستنجد الخليفة بالسلطان السلاجوفي "محمد بن ملكشاه" ودارت بين السلطانين التركي والسلجوفي معارك عديدة كانت الحرب فيها سجالاً، وكلما انتصر أحدهما على الآخر كانت خطبة يوم الجمعة تعقد باسمه بعد اسم الخليفة.

وكانت فرقة الباطنية قد نشطت في مؤامراتها السرية واستطاعت أن تقضي على عدد كبير من أمراء المسلمين وقادتهم فجهز السلطان السلاجوفي جيشاً كبيراً سار به إلى إيران فحاصر قلعة "أصفهان" التي كانت مقرًا لفرقـة الباطنية وبعد حصار شديد استسلم أهل القلعة فاستولى عليها السلطان وقتل من فيها من المتّمردين، وكان "صدقة بن مزيد" من أمراءبني مزيد من قبيلةبني أسد قد خرج بجيش من العرب والأكراد يريد الاستيلاء على بغداد فتصدى له السلطان السلاجوفي بجيش كبير من السلاجقة فتغلب عليه. وكان المجرمون وغيرهم من العاطلين والأشقياء ينتهزون فرصة انشغال المسلمين بالقتال فيعيشون بالأمن في المدن يقتلون الناس ويسلّبون أموالهم فإذا عاد المسلمين من القتال انشغلوا بتأديب المجرمين.

وفي عمرة هذه الفوضى كان الشيخ عبد القادر يطلب العلم في بغداد، وتفقه على مجموعة من شيوخ الحنابلة ومن بينهم الشيخ أبو سعيد المخرمي، فبرع في المذهب والخلاف والأصول وقرأ الأدب وسمع الحديث على كبار المحدثين. وقد أمضى ثلاثين عاماً يدرس فيها علوم الشريعة وأصولها وفروعها.

جلوسه للوعظ والتدريس

عقد الشيخ أبو سعيد المُحرمي لتلميذه عبد القادر مجالس الوعظ في مدرسته بباب الأزج في بداية 521 هـ، فصار يعظ فيها ثلاثة أيام من كل أسبوع، بكرة الأحد وبكرة الجمعة وعشية الثلاثاء. واستطاع الشيخ عبد القادر بالموعة الحسنة أن يرد كثيراً من الحكماء الظالمين عن ظلمهم وأن يرد كثيراً من الضالين عن ضلالتهم، حيث كان الوزراء والأمراء والأعيان يحضرون مجالسه، وكانت عامة الناس أشد تأثراً بوعظه، فقد تاب على يديه أكثر من مائة ألف من قطاع الطرق وأهل الشقاوة، وأسلم على يديه ما يزيد على خمسة الآف من اليهود والمسيحيين . وبحسب بعض المؤرخين، فإن الجيلاني قد تأثر بفكر الغزالى حتى أنه ألف كتابه "الغنية" على نمط كتاب "إحياء علوم الدين"^[8]. وكان الشيخ عبد القادر يسيطر على قلوب المستمعين إلى وعظه حتى أنه استغرق مرة في كلامه وهو على كرسي الوعظ فانحلت طية من عمامته وهو لا يدري فألقى الحاضرون عمائهم وطواقيهم تقليداً له وهم لا يشعرون.

وبعد أن توفي أبو سعيد المبارك المخزومي فوضت مدرسته إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني فجلس فيها للتدريس والفتوى، وجعل طلاب العلم يقبلون على مدرسته إقبالاً عظيماً حتى ضاقت بهم فأضيف إليها من ما جاورها من المنازل والأمكنة ما يزيد على مثلها وبدل الأغنياء أموالهم في عمارتهم وعمل الفقراء فيها بأنفسهم حتى تم بناؤها سنة 528 هـ الموافق 1133 م . وصارت منسوبة إليه.

وكان الشيخ عبد القادر عالماً متبعراً يتكلم في ثلاثة عشر علمًا من علوم اللغة والشريعة، حيث كان الطلاب يقرأون عليه في مدرسته دروساً من التفسير والحديث والمذهب والخلاف والأصول واللغة، وكان يقرأ القرآن بالقراءات وكان يفتني على مذهب الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل.

مؤلفاته

صنف عبد القادر الجيلاني مصنفات كثيرة في الأصول والفروع وفي أهل الأحوال والحقائق والتصوف، منها ما هو مطبوع ومنها مخطوط ومنها مصوّر، منها:

- إغاثة العارفين وغاية مني الوالصلين.
- أوراد الجيلاني.

- آداب السلوك والتوصيل إلى منازل السلوك.
- تحفة المتقين وسبيل العارفين.
- جلاء الخاطر في الباطن والظاهر.
- حزب الرجاء والانتهاء.
- الحزب الكبير.
- دعاء البسملة.
- الرسالة الغوثية: موجود منها نسخة في مكتبة الأوقاف بغداد.
- رسالة في الأسماء العظيمة للطريق إلى الله.
- الغنية لطاليبي طريق الحق : وهو من أشهر كتبه في الأخلاق والأداب الإسلامية وهو جزءان.
- الفتح الرباني والفيض الرحمناني : وهو من كتبه المشهورة وهو عبارة عن مجالس للشيخوخ في الوعظ والإرشاد.
- فتوح الغيب: وهو عبارة عن مقالات للشيخ في العقائد والإرشاد ويتألف من 78 مقالة.
- الفيوضات الربانية: وهكذا الكتاب ليس له ولكنه يحتوي الكثير من أوراده وأدعيته وأحزابه.
- معراج لطيف المعاني.
- يواقت الحكم.
- سر الأسرار في التصوف: وهو كتاب معروف وتوجد نسخة منه في المكتبة القادرية بغداد وفي مكتبة جامعة إسطنبول.
- الطريق إلى الله: كتاب عن الخلوة والبيعة والأسماء السبعة.
- رسائل الشيخ عبد القادر: 15 رسالة بالفارسية يوجد نسخة في مكتبة جامعة إسطنبول.
- المواهب الرحمنية: ذكره صاحب روضات الجنات.
- حزب عبد القادر الجيلاني: مخطوط توجد نسخة منه في مكتبة الأوقاف بغداد.
- تنبيه الغبي إلى رؤية النبي: نسخة مخطوطة بمكتبة الفاتيكان بروما.
- الرد على الرافضة: منسوب له وهو محمد بن وهب نسخة مخطوطة في المكتبة القادرية بغداد.

- وصايا الشیخ عبد القادر: موجود فی مکتبة فیض الله مراد تحت رقم 251.
- بهجة الأسرار: مواعظ للشیخ جمعها نور الدين أبو الحسن علی بن یوسف اللخمي الشطوفي.
- تفسیر القرآن الکریم: فی مکتبة رشید کرامی فی طرابلس الشام ويقول عفیف الدين الجیلانی أنه مطبوع فی ترکیا.
- الدلائل القادریة.
- الحدیقة المصطفویة: مطبوعة بالفارسیة والأردیة.
- الحجۃ البیضاء.
- عمدة الصالحین فی ترجمة غنیة الصالحین.
- بشائر الخیرات.
- ورد الشیخ عبد القادر الجیلانی.
- کیمیاء السعادۃ لمن أراد الحسنی وزيادة.
- المختصر فی علم الدین.
- مجموعۃ خطب.

قال العلماء عنه

- قال الإمام التووی : ما علمنا فيما بلغنا من التفات الناقلين وكرامات الأولياء أكثر مما وصل إلينا من كرامات القطب شیخ بغداد محیی الدین عبد القادر الجیلانی، كان شیخ السادة الشافعیة والسداد الحنابلة ببغداد وانتهت إلیه ریاسة العلم فی وقته، وتخرج بصحته غير واحد من الأکابر وانتهی إلیه أكثر أعيان مشايخ العراق وتتلذذ له خلق لا يحصلون عدداً من أرباب المقامات الرفیعة، وانعقد علیه إجماع المشايخ والعلماء بالتبجیل والإعظام، والرجوع إلى قوله والمصیر إلى حکمه، وأهreu إلیه أهل السلوك -التصوف- من كل فج عميق. وكان جمیل الصفات شریف الأخلاق کامل الأدب والمرءة کثیر التواضع دائم البشر وافر العلم والعقل شدید الاقتداء لکلام الشرع وأحكامه عظیماً لأهل العلم مُکرّماً لأرباب الدين والسنۃ، مبغضاً لأهل البدع والأهواء محبًا لمريدي الحق مع دوام المجاهد ولزوم المراقبة إلى الموت. وكان له کلام عال في علوم المعارف شدید

الغضب إذا انتهكت محارم الله سبحانه وتعالى سخي الكف كريم النفس على أجمل طريقة. وبالجملة لم يكن في زمانه مثله.^[9]

- قال العلامة ابن تيمية: والشيخ عبد القادر ونحوه من أعظم مشائخ زمانهم أمراً بالتزام الشرع، والأمر والنهي، وتقديمه على الذوق والقدر، ومن أعظم المشائخ أمراً بترك الهوى والإرادة النفسية.
- قال الإمام العز بن عبد السلام : إنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر فإن كراماته نقلت بالتواتر^[10].
- قال الإمام الذهبي: الشيخ عبد القادر الشيخ الامام الزاهد العارف القدوة، شيخ الاسلام، علم الأولياء، محيي الدين، أبو محمد، عبد القادر بن أبي صالح عبد الله ابن جنكي دوست الجيلي الحنبلي، شيخ بغداد^[11].
- قال الإمام أبو أسعد عبد الكريم السمعاني: هو إمام الحنابلة وشيخهم في عصره فقيه صالح، كثير الذكر دائم الفكر، وهو شديد الخشية، مجاب الدعوة، أقرب الناس للحق، ولا يرد سائلا ولو بأحد ثوبيه.
- قال الإمام ابن حجر العسقلاني الكناني : كان الشيخ عبد القادر متمسكاً بقوانين الشريعة، يدعو إليها وينفر عن مخالفتها ويشغل الناس فيها مع تمسكه بالعبادة والمجاهدة ومزج ذلك بمخالطة الشاغل عنها غالباً الأزواج والأولاد، ومن كان هذا سبileه كان أكمل من غيره لأنها صفة صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم^[12].
- قال الإمام ابن قدامة المقدسي: دخلنا ببغداد سنة إحدى وستين وخمسمائة فإذا الشيخ عبد القادر بها انتهت إليه بها علماً وعملاً وحالاً واستفتاء، وكان يكفي طالب العلم عن قصد غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم والصبر على المشتغلين وسعة الصدر. كان مليء العين وجمع الله فيه أوصافاً جميلة وأحوالاً عزيزة، وما رأيت بعده مثله ولم أسمع عن أحد يحكي من الكرامات أكثر مما يحكي عنه، ولا رأيت أحداً يعظمه الناس من أجل الدين أكثر منه^[13].
- قال الإمام ابن رجب الحنبلي: عبد القادر بن أبي صالح الجيلي ثم البغدادي، الزاهد شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة، محيي الدين ظهر للناس، وحصل له القبول التام، وانتصر أهل السنة الشرفية بظهوره، وانحدر أهل البدع والأهواء، واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ومكافئاته، وجاءته الفتاوی من سائر الأقطار، وهابه الخلفاء والوزراء والملوك فمن دونهم^[14]. وقال رحمه الله : كان الشيخ عبد القادر

رحمه الله في عصره معلماً، يعظمه أكثر مشايخ الوقت من العلماء والزهاد، وله مناقب وكرامات كثيرة، ولكن قد جمع المقرئ أبو الحسن الشاطئي المصري في أخبار الشيخ عبد القادر ومناقبه ثلاث مجلدات، وكتب فيها الطم والرم، وكفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع. وقد رأيت بعض هذا الكتاب، ولا يطيب على قلبي أن أعتمد على شيء مما فيه فأناقل منه إلا ما كان مشهوراً معروفاً من غير هذا الكتاب، وذلك لكترا ما فيه من الرواية عن المجهولين، وفيه الشطح، والطامات، والدعوى، والكلام الباطل، ما لا يحصى، ولا يليق نسبة مثل ذلك إلى الشيخ عبد القادر رحمه الله، ثم وجدت الكمال جعفر الأدفوني قد ذكر أن الشاطئي نفسه كان متهمًا فيما يحكى في هذا الكتاب بعينه.

• قال الإمام اليافعي: قطب الأولياء الكرام، شيخ المسلمين والإسلام ركن الشرعية وعلم الطريقة، شيخ الشيوخ، قدوة الأولياء العارفين الأكابر أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي قدس سره ونور ضريحه، تحلى بحلي العلوم الشرعية وتجمل بتيجان الفنون الدينية، وتزود بأحسن الآداب وأشرف الأخلاق، قام بنص الكتاب والسنة خطيباً على الأشهاد، ودعا الخلق إلى الله سبحانه وتعالى فأسرعوا إلى الانقياد، وأبرز جواهر التوحيد من بحار علوم تلاطمته أمواجها، وأبرا النفوس من أسماقها وشفى الخواطر من أوهامها وكم رد إلى الله عاصياً، تللمذ له خلق كثير من الفقهاء^[16].

• قال الإمام الشعراي : طريقته التوحيد وصفاً وحكمـا وحالـا وتحقيقـه الشرع ظاهـرا وباطـنا^[17].

• قال الإمام أحمد الرفاعي : الشيخ عبد القادر من يستطيع وصف مناقبه، ومن يبلغ مبلغـة، ذاك رجل بحر الشرعـة عن يمينـه، وبـحر الحقيقة عن يـسارـه من أيـهما شـاء اـقـرـفـ، لا ثـانـيـ لهـ فيـ وقتـناـ هـذاـ^[18].

• قال الشيخ بقا بن بطو : كانت قوة الشيخ عبد القادر الجيلاني في طريقته إلى ربـةـ كـقوـيـ جميعـ أـهـلـ الطـرـيقـ شـدـةـ ولـزـومـاـ وـكـانـتـ طـرـيقـتـهـ التـوـحـيدـ وـصـفـاـ وـحـكـمـاـ وـحـالـاـ^[19].

• قال الإمام ابن السمعاني عنه: إمام الحنابلة وشيخـهمـ فيـ عـصـرـهـ، فـقـيـهـ صـالـحـ، دـيـنـ خـيـرـ، كـثـيرـ الذـكـرـ، دـائـمـ الـفـكـرـ، سـرـيعـ الدـمـعـةـ.

• قال عنه الشيخ الأكبر محـيـيـ الدـيـنـ اـبـنـ عـرـبـيـ : وـبـلـغـنـيـ أـنـ عـبـدـ القـادـرـ الجـيلـيـ كانـ عـدـلـاـ قـطـبـ وـقـتـهـ.

وفاته

توفي الإمام الجيلاني ليلة السبت 10 ربيع الثاني سنة 561 هـ، جهزه وصلي عليه ولده عبد الوهاب في جماعة من حضر من أولاده وأصحابه، ثم دفن في رواق مدرسته، ولم يفتح باب المدرسة حتى علا النهار وهرع الناس للصلاة على قبره وزيارتة، وبلغ تسعين سنة من عمره. ذكر العلامة سالم الالوسي، ان الرئيس أحمد حسن البكر في بداية حكمه، طالب إيران باسترجاع رفات الخليفة هارون الرشيد، كونه رمز بغداد في عصرها الذهبي، وذلك بدعوة وحث من المرحوم عبد الجبار حامد الجومرد وزير الخارجية العراقي السابق في عهد عبد الكريم قاسم، ولكن إيران امتنعت ، وبالمقابل طلبت استرجاع رفات الشيخ عبد القادر الكيلاني ، كونه من مواليد كيلان في إيران ، وعندتها طلب الرئيس من العلامة مصطفى جواد ، بيان الامر ، فاجاب مصطفى جواد : ان المصادر التي تذكر ان الشيخ عبد القادر مواليد كيلان في إيران ، مصادر تعتمد روایة واحدة وتناقلتها بدون دراسة وتحقيق ،اما الاصول فهو من مواليد قرية تسمى (جبل) قرب المدائن ، ولا صحة كونه من إيران أو ان جده اسمه جيلان ، وهو ما أكدته العلامة حسين علي محفوظ في مهرجان جلواء الذي اقامه اتحاد المؤرخين العرب وكان الالوسي حاضرا أيضا سنة 1996 ، وفعلا اخبرت مملكة إيران بذلك ولكن بتدخل من دولة عربية أغلق الموضوع^[20].

مصادر ومراجع :

1. ^ كتاب المختصر في تاريخ شيخ الإسلام عبد القادر، إبراهيم الدروبي، باكستان 1959، ص 52
2. ^ المنتظم، تأليف : ابن الجوزي، ج 10، ص 219.
3. ^ * كتاب: جغرافية الباز الاشهب، تحقيق مكان ولادة الشيخ عبد القادر الكيلاني، د/جمال الدين فالح الكيلاني، مكتبة الجليس - بيروت، 2012، ص 14
4. ^ كتاب من بعض أنساب العرب ، د/خاشع المعايضي ، دار الرشيد ، بغداد ، 1997 ، ج 2 ص 77.
5. ^ سير أعلام النبلاء - الذهبي- مؤسسة الرسالة - الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985 م - ج 20 - الصفحة 439
6. ^ التاريخ الكبير، تأليف :الحافظ الذهبي.
7. ^ الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، ج 1، ص 290
8. ^ هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، تأليف: ماجد الكيلاني، ص 184.
9. ^ قلائد الجوادر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص 137. نقاً عن بستان العرافين، تأليف: النووي.
10. ^ سير أعلام النبلاء، تأليف: الذهبي ج 20 ص 443
11. ^ سير أعلام النبلاء، تأليف: الذهبي. ج 20 ص 439
12. ^ قلائد الجوادر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص 23
13. ^ قلائد الجوادر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص 6.
14. ^ الطبقات، تأليف: ابن رجب الحنبلي.
15. ^ البداية والنهاية، تأليف: ابن كثير
16. ^ قلائد الجوادر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص 136
17. ^ الطبقات الكبرى، تأليف: الشعراوي، 1/129
18. ^ قلائد الجوادر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص 66.

- .19 ^ الطبقات الكبرى، تأليف: الشعراوي، 1/127.
- .20 ^ كتاب الشيخ عبدالقادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، د/جمال الدين فالح الكيلاني، ص24

المدرسة التربوية القادرية

هي أشهر الطرق الصوفية السليمة، تنتسب إلى القطب الشيخ عبد القادر الجيلاني (471 هـ - 561 هـ)، وينتشر أتباعها في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

قواعد الطريقة القادرية

يذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني أهم قواعد وأسس الطريقة القادرية:

- الالتزام بالكتاب والسنّة: يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني: (طريقتنا مبنية على الكتاب والسنّة فمن خالفهما فليس منا). ويقول: (اجعل الكتاب والسنّة جناحيك طر بهما إلى الله).
- الجَدُّ والْكَدُ ولزوم الحَدِّ حتى تندى: ومعنى (جد) الجدية في سلوك الطريق إلى الله، ومعنى (كد) بذل الجهد والجوارح والنفس والروح في السير إلى الله بدون هواة ولا تراخي، ومعنى (لزوم الحد) الالتزام بالشريعة وتحليل الحلال وتحريم الحرام والوقوف عند حدود الله وعدم تجاوزها، ومعنى (حتى تندى) حتى تجف النفس عن المعاصي والذنوب والشهوات والملذات والأخلاق السيئة ولا يبقى فيها إلا الله جل في علاه.
- الاجتماع والاستماع والإتباع حتى يحصل الانتفاع: ومعنى هذا الاجتماع بالصالحين والعلماء والمرشدين والأخوة في الله والاستماع لهم بأدب وإتباع ما يقولون وما يأمرون من الهدي النبوي وبذلك يحصل لدينا الانتفاع والوصول لما وصلوا إليه.
- الاعتقاد بشيخ الطريقة العقيدة الصحيحة: ومعنى هذا أن يحبوه ويحترموه ويقدروه ولا يهملوه ولا يعظمونه فوق الحد المطلوب ولا يغلو في حبه ولا يعتقدوا فيه العصمة فإنه بشر يخطئ ويصيب لكنه محفوظ بعناية الله إن أخطأ سرعان ما يرجع إلى الله ويتبّع إليه، يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه الغنية: (يابني إياك أن تنظر إلى شيخك أنه

معصوم إنما هو بشر يخطئ ويصيب فإن رأيت منه مخالفة فابحث له عن عذر شرعي فإن لم تجد له عذر فاستغفر له الله فإنه بشر يخطئ ويصيب).

• حب الشیخ : لكن حب الله والرسول صلی الله علیه وسلم مقدم علیه وهو المراد الحقیقی من السیر والسلوک علی ید الشیخ المرشد فهو دلیلنا إلی حب الله ورسوله صلی الله علیه وسلم.

• الدعوة إلی الله

• كثرة الذکر لله تعالى: فالذکر هو المراجعة في السیر إلى الله في الطریقة القادریة، فمن أهم أعمال المرید كثرة الأذکار والمداومة علیها وعلى الاستغفار والصلوة علی الرسول بالليل والنہار وبذلك يرتقي المرید في مقامات المحبة لله ولرسوله والذکر هو الوسیلة العظمى لترکیة النفس وتربيتها وتحلیتها بالأخلاق المحمدیة.

• محبة آل البيت : وحبهم مقدم على كل من سواهم من الناس لأنهم بضعة النبي ووصيته لأمتھ، مع الحب والتقدیر والإکبار والإجلال للصحابۃ وعلى رأسهم أبو بکر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلی بن أبي طالب رضي الله عنھم.

• حب كل الأولياء والصالحين: وحب مشايخ ومرشدين الطرق الأخرى، ولا يفرقون ولا يميزون بين طریقة وأخرى، ولا يتھبون لطريقتهم ولا يطعنون بالطرق الأخرى التي تنھج منھج الكتاب والسنة، وذلك كله مع المحبة والتعظیم والتقدیر لطريقتهم ولمشايخهم كما ينبغي أن يكون.

شروط الشیخ المرشد عند الإمام الجیلانی

قال الشیخ عبد القادر الجیلانی في القصيدة العینیة:

إلى شیخٍ في الحقيقة بارع	وإن ساعد المقدور أو ساقك القضا
ودع كل ما من قبل كنت تسارع	فقم في رضاه واتبع مراده
عليه فإن الاعتراض تنازع	ولا تعترض فيما جھلت من أمره
بقتل غلام والكليم يدافع	في قصة الخضر الكريم كفاية
وسل حساماً للغياص قاطع	فلما أضاء الصبح عن ليل سره

أقام له العذر الكليم وإنه كذلك علم القوم فيه بدائع

لقد أسس الإمام الجيلاني طريقته وفق الكتاب والسنّة ووضع لها ضوابط شرعية حتى لا يكثُر الشطط والنقسان والتغيير والابتداع ويُدعي المشيخة من يقدر ومن لا يقدر ومن يعلم ومن لا يعلم. فوضع الشيخ ضوابط وشروط ينبغي أن تتوفر بالشيخ المرشد الذي يتصرّد للإرشاد وهذه الشروط هي^[2]:

إذا لم يكن للشيخ خمس فوائد وإلا فدرجاؤ يقود إلى جهل
عليم بأحكام الشريعة ظاهراً ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل
ويظهر للوراد بالبشر والقرى ويخضع للمسكين بالقول والفعل
فهذا هو الشيخ المعظم قدره عليم بأحكام الحرام من الحل
يهذب طلاب الطريق ونفسه مهذبة من قبل ذو كرم كلي

لقد بين الشيخ في هذه الأبيات بعض شروط الشيخ المربي وهي خمس. فإن لم تتوفر فيه فليس لديه الأهلية للإرشاد وهذه الشروط هي:

- أن يكون عالماً بأحكام الشريعة والدين عالم بالحلال والحرام عالم بحدود الشرع وعالم بالسنّة النبوية وعالم بما علم من الدين بالضرورة وهذا معنى قول الشيخ (عليم بأحكام الشريعة ظاهراً).
- أن يكون عالماً بعلم الحقيقة والطريقة وعالماً بأحوال القلوب والآنفوس وطرق تزكيتها وخبر بأحوال السالكين وتدرجهم في الطريق إلى الله ويكون قد أخذ هذا العلم من شيخ مرشد كامل سند متصل إلى رسول الله وهذا معنى قول الشيخ (ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل).
- أن يكون كريماً سخياً مع ضيوفه والسعاء من صفات رب العالمين ومن خلق الرسول الكريم والصالحين فلا يليق بالمرشد أن يكون بخيلاً كما جاء في الحديث ما جبلولي الله إلا على السعاء وحسن الخلق فيكرم ضيوفه ورواد زاويته دون التقصير بحق ضيافتهم وأن تدوم البسمة على وجهه وإن يكون رحب الصدر وهذا معنى قول الشيخ (ويظهر للوراد بالبشر والقرى).

- أن يكون متواضعاً للمؤمنين يخضع لهم بالقول والفعل وهذه الخصلة هي من خصال النبي حيث أمره الله فقال له (وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)^[3]. وكان الشيخ عبد القادر الجيلاني معروفاً بتواضعه للفقراء وكان يجلس معهم ويطاعهم ويتجنب مجالسة الأغنياء والكباراء والأمراء والوزراء إلا إذا أراد نصح لهم وهذا معنى قول الشيخ (ويخضع للمسكين بالقول والفعل).
- أن يكون قد ناجحاً في تربية المربيدين وتزكية نفوسهم ولن يكون له هذا إلا إذا كان قد ركى نفسه قبل ذلك على يد شيخ خبير بارع وأن يكون قد أذن له بالإرشاد والمشيخة من قبل شيخه وفق سند متصل وهذا معنى قول الشيخ (يهذب طلاب الطريق ونفسه مهذبة من قبل ذو كرم كلي).

أماكن الانتشار

ينتشر أتباع الطريقة القادرية في كثير من البلاد أشهرها سوريا وتركيا والعراق والمغرب والجزائر وفلسطين ولبنان وموزambique والكاميرون ونيجيريا والصين والاتحاد السوفيتي وغانا وإيران والجزائر والسودان والنيجر ومالي وغينيا وتشاد وأفغانستان والهند وباكستان وبنغلاديش والصومال وأندونيسيا ويوغسلافيا ومصر وتونس وماليزيا وارتريا.

تفرعات الطريقة القادرية

تفرعت عن الطريقة القادرية عدة طرق ، منها:

- الطريقة القادرية الجيلانية بالمغرب.
- الطريقة القادرية البدشيشية.
- الطريقة القادرية العركية.
- الطريقة النقشبندية القادرية.
- الطريقة البريفكانية القادرية.
- الطريقة العلية القادرية الكستنائية.
- الطريقة القادرية (دائرة الشيخ حسن القره جيواري).
- الطريقة الزعبية القادرية العلية.
- الطريقة القادرية النورية.

- الطريقة الرضوية البركاتية بالهند.
- الطريقة الكنزية القادرية لشيخها السيد أبو الليث حمزة الأسد يوسف آل السيد القادر الشافعي.
- الطريقة القادرية الجعلية السودان.
- الطريقة القادرية الرضوية العطارية.

مصادر

1. ^ جاء في كتاب السير والمساعي ص 208 هذه الأبيات المنسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني.
2. ^ سورة الحجر، آية 88.

<https://ataunnabi.blogspot.com/>

Click For More Books

<https://archive.org/details/@zohaibhasanattari>

النص الكامل للكتاب

مقدمة المؤلف

الحمد لله نستعينه ونستغفره ، قال الشيخ عبد الرزاق ولد المؤلف : قال والدي رضي الله تعالى عنه مؤيد الأئمة سيد الطوائف أبو محمد محي الدين عبد القادر الجيلاني الحسني الحسيني الصديقي، ابن أبي صالح موسى ابن الإمام عبد الله ابن الإمام يحيى الزاهد ابن الإمام محمد ابن الإمام داود ابن الإمام موسى ابن الإمام عبد الله ابن الإمام موسى الجون ابن الإمام عبد الله المحضر ابن الإمام الحسن المثنى ابن الإمام أمير المؤمنين سيدنا الحسن السبط ابن الإمام الهمام أسد الله الغالب، فخربني غالب، أمير المؤمنين سيدنا علي ابن أبي طالب، كرم الله وجهه، ورضي عنه وعنهم أجمعين آمين :

الحمد لله رب العالمين أولاً وأخراً وظاهراً وباطناً، عدد خلقه ومداد كلماته، وزنة عرشه، ورضاء نفسه، وعدد كل شفع ووتر، ورطب ويابس في كتاب مبين، وجميع ما خلق ربنا وذراؤه وبراً، خالق بلا مثال أبداً سرداً طيباً مباركاً، الذي خلق فسوئ، وقدر فهدى، وأمات وأحيى، وأضحك وأبكى، وقرب وأدى، وأرحم وأحزى، وأطعم وأسكنى، وأسعد وأشقي، ومنع وأعطى، الذي بكلمته قامت السبع الشداد، وبها رست الرواسي والأوتاد واستقرت الأرض المهداد، فلا مقوطاً من رحمته، ولا مأموناً من مكره وغيرته وإنفاذ أقضيته و فعله وأمره، ولا مستنكفاً عن عبادته، ولا محلواً من نعمته، فهو المحمود بما أعطى، والمشكور بما زوى، ثم الصلاة على نبيه المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، الذي من اتبع ما جاء به اهتدى ومن صدف عنه ضل وارتدى، النبي الصادق المصدوق، الزاهد في الدنيا، الطالب الراغب في الرفيق الأعلى، المجتبى من خلقه، المنتخب من بريته، الذي جاء بالحق بمحبته، زهر الباطل بظهوره، وأشرقت الأرض بنوره.

ثم الصلوات الوفيات، والبركات الطيبات، الزاكيات المبارکات عليه ثانياً وعلى آله الطيبين، وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، الأحسنين لربهم فعلا، الأقومين له قيلا، والأصوبين إليه طریقاً وسیلاً، ثم تضرعنا ورجومنا إلى ربنا، ومنشئنا وخالقنا ورازقنا، ومطعمنا ومسقينا، ونافعنا وحافظنا، وكائنا ومحبينا، والذابت والداعف عنا جميع ما يؤذينا ويسوءنا، كل ذلك برحمته وتحننه وفضله ومتنه بالحفظ الدائم في الأقوال والأفعال في السر والإعلان، والإظهار والكتمان والشدة والرخاء والنعمة والأساء والضراء، إنه فعال لما يريد، والحاكم بما يشاء، العالم بما يخفى، المطلع على الشؤون والأحوال، من الزلات والطاعات والقربات، السامع للأصوات، المجيب للدعوات، لمن يشاء من غير تنازع وتردد.

أما بعد : فإن نعم الله علي كثيرة متواترة، في آناء الليل وأطراف النهار وال ساعات واللحظات والخطرات وجميع الحالات، كما قال عز وجل : {وَإِن تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوْهَا} إبراهيم 34. قوله تعالى : {وَمَا يُكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} النحل 53. فلا يدان لي ولا جنان ولا لسان في إحصائها وأعدادها، فلا يدركها التعداد ولا تضبطها العقول والأذهان، ولا يحصيها الجنان ولا يعبرها اللسان. فمن جملة ما مكن عن تعبيتها اللسان، وأظهرها الكلام وكتبتها البنان، وفسرها البيان، كلمات برزت وظهرت لي من فتوح الغيب فحلت في الجنان، فأشغلت المكان فأنتجها وأبرزها صدق الحال، فتولى إبرازها لطف المنان، ورحمة رب الأنام في قالب صواب المقال، لمريدي الحق والطلاب.

المقالة الأولى

فيما لا بد لكل مؤمن

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : لا بد لكل مؤمن فيسائر أحواله من ثلاثة أشياء : أمر يمثله، ونهي يجتنبه، وقدر يرضى به، فأقل حالة المؤمن لا يخلو فيها من أحد هذه الأشياء الثلاثة، فينبغي له أن يلزم همها قلبه، وليحدث بها نفسه، ويؤخذ الجواح بها فيسائر أحواله.

المقالة الثانية

في التواصي بالخير

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : اتبعوا ولا تبتعدوا، وأطيعوا ولا تمرقوا، ووحدوا ولا تشركوا، ونزعوا الحق ولا تتهموا، وصدقوا ولا تشکوا، واصبروا ولا تجزعوا، واثبتو ولا تنفروا، واسألو ولا تسأموا، وانتظروا وترقبوا ولا تيأسوا، وتواخوا ولا تعادوا، واجتمعوا على الطاعة ولا تفرقوا، وتحابوا ولا تبغضوا، وتطهروا عن الذنوب وبها لا تدنسوا ولا تتلطخوا، وبطاعة ربكم فتزينوا، وعن باب مولاكم فلا تبرحوا، وعن الإقبال عليه فلا تتولوا، وبالتوبة فلا تسوفوا، وعن الاعتذار إلى خالقكم في آناء الليل وأطراف النهار فلا تملوا، فلعلكم ترحمون وتسعدون، وعن النار تبعدون، وفي الجنة تحبرون، وإلى الله توصلون، وبالنعم وافتراض الأبكار في دار السلام تشتلغلون، وعلى ذلك تخلدون، وعلى النجائب تركبون، وبحرور العين وأنواع الطيب وصوت القيان مع ذلك النعيم تحبرون، ومع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ترفعون.

المقالة الثالثة

في الابتلاء

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا ابتلي العبد ببلية تحرك أولاً في نفسه بنفسه ، فإن لم يخلص منها استعان بالخلق كالسلاطين وأرباب المناصب وأرباب الدنيا وأصحاب الأحوال وأهل الطب في الأمراض والأوجاع ، فإن لم يجد في ذلك خلاصاً رجع إلى ربّه بالدعاء والتضرع والشاء . ما دام يجد بنفسه نصرة لم يرجع إلى الخلق ، وما دام يجد به نصرة عند الخلق لم يرجع إلى الخالق ، ثم إذا لم يجد عند الخلق نصرة استطرح بين يديه مديماً للسؤال والدعاء والتضرع والشاء والافتقار مع الحوف والرجاء ، ثم يعجزه الخالق عزّ وجلّ عن الدعاء ، ولم يجده حتى ينقطع عن جميع الأسباب ، فحينئذ ينفذ فيه القدر وي فعل فيه الفعل ، فيفني العبد عن جميع الأسباب والحركات ، فيبقى روحًا فقط ، فلا يرى إلا فعل الحق فيصير موئناً موحداً ضرورة يقطع أن لا فاعل في الحقيقة إلا الله لا محرك ولا مسكن إلا الله ولا خير ولا ضر ولا نفع ولا عطاء ولا منع ، ولا فتح ولا غلق ، ولا موت ولا حياة ، ولا عزّ ولا ذل إلا بيد الله فيصير في القدر كالطفل الرضيع في يد الظئر والميت الغسيل في يد الغاسل والكرة في صولجان الفارس ، يقلب ويغير ويبدل ، ويكون ولا حراك به في نفسه ولا في غيره فهو غائب عن نفسه في فعل مولاه ، فلا يرى غير مولاه وفعله ، ولا يسمع ولا يعقل من غيره إن بصر وإن سمع وعلم ، فلكلامه سمع ، ولعلمه علم ، وبنعمته تنعم ، وبقربه تسعد ، وبتقريبه تزين وتشرف ، وبوعده طاب وسكن ، به اطمأن ، وبحدشه أنس ، وعن غيره استوحش ونفر ، وإلى ذكره التجأ وركن ، وبه عزّ وجلّ وثق وعليه توكل ، وبنور معرفته اهتدى وتقمص وتسربل ، وعلى غرائب علومه اطلع ، وعلى أسرار قدرته أشرف ، ومنه سمع ووعي ، ثم على ذلك حمد وأثنى وشكر ودعا .

المقالة الرابعة

في الموت المعنوي

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : إذا مت عن الخلق قيل لك رحمك الله وأماتك عن الهوى، وإذا مت عن هواك قيل رحمك الله وأماتك عن إرادتك ومناك، وإذا مت عن الإرادة قيل رحمك الله وأحياك حياة لا موت بعدها، وتغنى غنى لا فقر بعده، وتعطى عطاء لا منع بعده، وتراح براحة لا شقاء بعدها، وتنعم بنعمة لا بؤس بعدها، وتعلم علماً لا جهل بعده، وتومن من أمناً لا خوف بعده، وتسعد فلا تشقى، وتعز فلا تذل، وتقرب فلا تبعد، وترفع فلا توضع، وتعظم فلا تحقر، وتطهر فلا تدنس، لتحقق فيك الأمانى، وتصدق فيك الأقاويل، فتكون كبريتاً أحمر فلا تكاد ترى، وعزيزاً بلا تماثل، وفريداً بلا تشارك، ووحيداً بلا تجانس، فرداً بفرد ووتوأ بوتر، وغيب الغيب، وسر السر، فحينئذ تكون وارث كل نبي وصديق ورسول. بك تختتم الولاية وإليك تصير الأبدال وبك تنكشف الكروب، وبك تسقى الغيوث، وبك تنبت الزروع، وبك يدفع البلاء والمحن عن الخاص والعام وأهل الشغور والراعي والرعايا، والأئمة والأمة وسائر البرايا، فتكون شحنة البلاد والعباد، فتنطلق إليك الرجل بالسعى، والرجال والأيدي بالبذل والعطاء والخدمة بإذن خالق الأشياء في سائر الأحوال، والألسن بالذكر الطيب والحمد والشاء وجمع المجال، ولا يختلف فيك اثنان من أهل الإيمان، يا خير من سكن البراري وجال بها {ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} . الحديـد 21.

المقالة الخامسة

في بيان الدنيا و الحث على عدم الالتفات إليها

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا رأيت الدنيا في يدي أربابها بزینتها وأباطيلها وخداعها ومصاددها وسمومها القتالة، مع لين مس ظاهرها، وضراوة باطنها وسرعة إهلاكها، وقتلها لمن مسها واغتر بها وغفل عن ولیها وعيها بأهلها ونقض عهدها، فکن کمن رأى انساناً على الغائط بالبراز بادية سوأته وفاححة رائحته، فإنك تغض بصرك عن سوأته، وتسد أنفك من رائحته ونتنه، فهكذا کن في الدنيا، إذا رأيتها غض بصرك عن زینتها، وسد أنفك عما يفوح من روائح شهواتها ولذاتها، فتنجو منها ومن آفاتها، ويصل إليك قسمك منها وأنت مهناً، قال الله تعالى لنبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم : {وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنِيكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَرْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} . طه 131.

المقالة السادسة

في الفناء عن الخلق

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : افن عن الخلق بإذن الله تعالى، عن هواك بأمر الله تعالى {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ}. المائدة 23. وعن إرادتك بفعل الله تعالى. وحينئذ تصلح أن تكون وعاء لعلم الله تعالى، فعلامة فائك عن خلق الله تعالى انقطاعك عنهم وعن التردد إليهم واليأس مما في أيديهم، وعلامة فائك عن هواك ترك التكسب والتعلق بالسبب في جلب النفع والضرر، فلا تحرك ولا تعتمد عليك ولا لك ولا تذهب عنك ولا تنتصر لنفسك، تكل ذلك كله إلى الله تعالى لأنه تولاه أولاً فيتولاه آخرأ، كما كان موكلاً إليه في حال كونك مغيياً في الرحم، وكونك رضيعاً طفلاً في مهدك، وعلامة فائك عن إرادتك بفعل الله أنك لا تريد مراداً قط ، ولا يكون لك غرض، ولا يبقى لك حاجة ولا مرام، فإنك لا تريد مع إرادة الله سواها، بل يجري فعل الله فيك، فتكون أنت عند إرادة الله وفعله ساكن الجوارح مطمئن الجنان منشرح الصدر منور الوجه عامر البطن غنياً عن الأشياء بحالتها، تقلب يد القدرة، ويدعوك لسان الأزل، ويعلمك رب الملل، ويكسوك أنواراً منه والحلل، وينزلك من أولي العلم الأول، فتكون منكسرأ أبداً، فلا يثبت فيك شهوة وإرادة كالإماء المنثم الذي لا يثبت فيه مائع وكدر، فتنقى عن أخلاق البشرية، فلن يقبل باطنك شيئاً غير إرادة الله عز وجل، فحينئذ يضاف إليك التكوين وحرق العادات، فيرى ذلك منك في ظاهر الفعل والحكم، وهو فعل الله وإرادته حقاً في العالم، فتدخل حينئذ في زمرة المنكسرة قلوبهم الذين كسرت إرادتهم البشرية وأزيلت شهواتهم الطبيعية فاستؤنفت لهم إرادة ريانية كما قال النبي صلي الله عليه وسلم : (حبب إلي من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وجعلت قرة عيني في الصلاة) فأضيف ذلك بعد أن خرج منه وزال عنه

تحقيقاً بما أشرنا، وتقديم. قال الله تعالى في حديثه القدسي : "أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي" فإن الله تعالى لا يكون عندك حتى تنكسر جملة هواك وإرادتك، فإذا انكسرت ولم يثبت فيك شيء ولم يصلح فيك شيء، أنشأك الله فجعل فيك إرادة، فترى ب بذلك الإرادة، فإذا صرت في الإرادة المنشأة فيك، كسرها الرب تعالى بوجودك فيها، فتكون منكسر القلب أبداً، فهو لا يزال يجدد فيك إرادة ثم يزيلها عند وجودك فيها هكذا إلى أن يبلغ الكتاب أجله، فيحصل اللقاء، فهذا هو معنى "عند المنكسرة قلوبهم من أجلي" ومعنى قولنا عند وجودك فيها هو ركونك وطمأنينتك إليها. قال الله تعالى في حديثه القدسي ، الذي يرويه صلى الله عليه وسلم : (لا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها) وفي لفظ آخر "في يسمع ، وبه يبطش وبه يعقل". وهذا إنما يكون في حالة الفناء لا غير، فإذا فنيت عنك وعن الخلق، والخلق إنما هو خير وشر، فلم ترج خيرهم ولا تخاف شرهم بقي الله وحده كما كان، ففي قدر الله خير وشر، فيؤمنك من شر القدر ويغرك في بحار خيره، ف تكون وعاء كل خير، ومنبعاً لكل نعمة وسرور وحبور وضياء أمن وسكون، فالفناء والمني والمبتغي والمنتهى حد ومرد ينتهي إليه مسيرة الأولياء، وهو الاستقامة التي طلبها من تقدم من الأولياء والأبدال أن يفروا عن إرادتهم وتبدل بإرادة الحق عزّ وجلّ، فيريدون بإرادة الحق أبداً إلى الوفاة، فلهذا سموا أبداً رضي الله عنهم، فذنوب هؤلاء السادة أن يشركوا إرادة الحق بإرادتهم على وجه السهو والنسيان وغلبة الحال والدهشة، فيدركهم الله تعالى برحمته بالذكر واليقظة، فيرجعوا عن ذلك ويستغفروا ربهم، إذ لا معصوم عن الإرادة إلا الملائكة، عصمو عن الإرادة، والأنبياء عصمو عن الهوى، وبقية الخلق من الإنس والجن المكلفين لم يعصموا منها غير أن الأولياء بعضهم يحفظون عن الهوى، والأبدال عن الإرادة، ولا يعصمون منها على معنى يجوز في حقهم الميل إليهما في الأحيان، ثم يتداركهم الله عزّ وجلّ باليقظة برحمته.

المقالة السابعة

في إذهب غم القلب

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : أخرج من نفسك وتنح عنها، وانعزل عن ملوكه وسلم الكل إلى الله، فكن بوابه على باب قلبك، وامثل أمره في إدخال من يأمرك بإدخاله، وانته بنهاية في صد من يأمرك بصدده، فلا تدخل الهوى قلبك بعد أن خرج منه، فإخراج الهوى من القلب بمخالفته، وترك متابعته في الأحوال كلها، وإدخاله في القلب بمتابعته موافقته، فلا ترد إرادة غير إرادته، وغير ذلك منك تمن وهو وادي الحمقى، وفيه حتفك وهلاكه وسقوطك من عينه وحاجاته عنك، أحفظ أبداً أمره، وانته أبداً بنهاية، وسلم لمقدوره، ولا تشركه بشيء من خلقه، فإن ارادتك وهواك وشهواتك كلها خلقه، فلا ترد ولا تهوى ولا تسته كيلا تكون مشركاً. قال الله تعالى : {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}. الكهف 110.

ليس الشرك عبادة الأصنام فحسب، بل هو متابعتك هواك، وأن تختار مع ربك شيئاً سواه من الدنيا وما فيها والآخرة وما فيها، فما سواه عزوجل غيره، فإذا ركنت إلى غيره فقد أشركتم به عزوجل غيره، فاحذر ولا تركن، وخف ولا تأمن، وفتتش فلا تغفل فتطمئن، ولا تضف إلى نفسك حالاً ومقاماً، ولا تدع شيئاً من ذلك، فإن أعطيت حالاً أو أقمت في مقام فلا تختر شيئاً واحداً من ذلك، فإن الله {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَاءٍ}. الرحمن 29. في تغيير وتبدل، وإنه يحول بين المرء وقلبه، فيزيلك عما أخبرت به، ويغيرك عما تخيلت ثباته وبقاءه، فتخجل عند من أخبرته بذلك، بل أحفظ ذلك فيك ولا تعده إلى غيرك فإنه كلي الثبات والبقاء، فتعلم أنه موهبة وتسأل التوفيق للشكر واستر رؤيته وإن كان غير ذلك كان فيه زيادة علم ومعرفة ونور وتيقظ وتأديب. قال الله عزوجل : {مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُسِّهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. البقرة 106. فلا تعجز الله في قدرته، ولا تتهمنه في تقديره ولا تدبره، ولا تشک في وعده، فليكن لك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، نسخت الآيات والسور النازلة عليه المعهولة بها المقروءة في المحاريب المكتوبة في المصاحف، ورفعت وبذلت وأثبتت غيرها

مكانها، ونقل صلی الله علیه وسلم إلى غيرها، هذا في ظاهر الشرع، وأما في الباطن والعلم والحال فيما بينه وبين الله عزّ وجلّ فكان يقول : (إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة) ويروى (مائة مرة) وكان صلی الله علیه وسلم ينقل من حالة إلى أخرى ويسيّر به في منازل القرب وميادين الغيب، ويغير عليه خلع الأنوار، فتبين الحالة الأولى عند ثانيتها ظلمة ونقصاناً وتقصيراً في حفظ الحدود، فيلقن الاستغفار لأنّه أحسن حال العبد، والتوبة فيسائر الأحوال لأن فيها اعترافه بذنبه وقصوره، وهما صفتا العبد فيسائر الأحوال، فهما وراثة من أبي البشر آدم عليه السلام إلى المصطفى صلی الله علیه وسلم حين اعترت صفاء حاله ظلمة النسيان للعهد والميثاق، وإرادة الخلود في دار السلام، ومجاورة الحبيب الرحمن المنان، ودخول الملائكة الكرام عليه بالتحية والسلام، فوجد هناك مشاركة إرادته لإرادة الحق، فانكسرت لذلك تلك الإرادة، وزالت تلك الحالة، وانعزلت تلك الولاية، فانهبطت تلك المنزلة وأظلمت تلك الأنوار وتکدر ذلك الصفاء، ثم تبّه وذكر صفي الرحمن، فعرف الاعتراف بالذنب والنسيان، ولقن الإقرار فقال : {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنْكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}. الأعراف 23. فجاءت أنوار الهدایة وعلوم التوبة ومعارفها، والمصالح المدفونة فيها ما كان غائباً من قبل، فلم تظهر إلا بها، فبدلت تلك الإرادة بغيرها والحالة الأولى بأخرى، وجاءته الولاية الكبیري والسكون في الدنيا ثم في العقی، فصارت الدنيا له ولذریته منزلاً، والعقبی لهم موئلاً ومرجاً وخليداً، فلك رسول الله وحبيبه المصطفى وأبیه آدم صفي الله عليهم الصلاة والسلام عنصر الأحباب والأخلاص أسوة في الاعتراف بالقصور والاستغفار في الأحوال كلها.

المقالة الثامنة

في التقرب إلى الله

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا كنت في حالة لا تختر غيرها أعلى منها ولا أدنى، فإذا كنت على باب الملك لا تختر الدخول إلى الدار حتى تدخل إليها جبراً لا اختياراً، وأعني بالجبر أمراً عنيفاً متأكداً متكرراً، ولا تكف بمجرد إذن بمجرد الدخول، لجواز أن يكون ذلك منكراً وخديعة من الملك، لكن اصبر حتى تجبر على الدخول فتدخل الدار جبراً محضاً وفضلاً من الملك، فحينئذ لا يعقوب الملك على فعله، إنما تتعرض العقوبة لك لشئم تخيرك وشرهك، وقلة صبرك وسوء أدبك، وترك الرضي بحالتك التي أقمت فيها، فإذا حصلت فكن مطرقاً غاضباً لبشرك متأدباً، محافظاً لما تؤمر به من الشغل والخدمة فيها غير طالب للترقي إلى الدرجة العليا. قال الله عزَّ وجلَّ : {وَلَا تَمْدَنَ عَيْنِيكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}. طه 131. وهذا تأديب منه عزَّ وجلَّ لنبيه المختار صلى الله عليه وسلم في حفظ الحال والرضا بالعطاء بقوله : {وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}. طه 131. أي ما أعطيتك من الخبر والنبوة والعلم والقناعة والصبر وولاية الدين، والعروة فيه أولى مما أعطيت وأحرى، فالخير كله في حفظ الحال والرضا بها وترك الالتفات إلى ما سواها، لأنه لا يخلو إما أن يكون قسمك أو قسم غيرك، أو أنه لا قسم لأحد بل أوجده الله فتنه، فإن كان قسمك وصل إليك شئت أم أبيت فلا ينبغي أن يظهر منك سوء الأدب والشره في طلبه، فإن ذلك غير محمود في قضية العلم والعقل، وإن كان قسم غيرك فلا تتبع فيما لم تناوله ولا يصل إليك أبداً، وإن كان ليس بقسم لأحد بل هو فتنه فكيف يرضي للعامل ويستحسن أن يطلب لنفسه فتنه ويستجلبها لها، فقد ثبت أن الخير كله والسلامة في حفظ الحال، فإذا رقيت إلى الغرفة ثم إلى السطح فكن كما ذكرنا من الحفظ والإطراف والأدب، بل يتضاعف ذلك منك، لأنك أقرب إلى الملك وأدنى بالخطر، فلا تتمن الانتقال منها إلى أعلى منها ولا إلى أدنى، وثباتها وبقائها، ولا تغير وصفها وأنت فيها، ولا يكون لك اختيار أبته، فإن ذلك كفر في نعمة الحال والكفر يحل بصاحبها الهوان

في الدنيا والآخرة فاعمل على ما ذكرناه أبداً حتى ترقى إلى حالة تصير لك مقاماً تقام فيه فلا تزال عنه، فتعلم حينئذ أنه موهبة ظهر بيانها فتمسكه ولا تزل، فالأحوال للأولياء والمقامات للأبدال والله يتولى هداك.

المقالة التاسعة

في الكشف والمشاهدة

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : يكشف للأولياء والأبدال من أفعال الله ما يبهر العقول ويخرق العادات والرسوم فهي على قسمين : جلال وجمال، فالجلال والعظمة يورثان الخوف المقلق والوجل المزعج، والغلبة العظيمة على القلب بما يظهر على الجوارح، كما روى عن أن النبي صلى الله عليه وسلم " كان يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل في الصلاة من شدة الخوف " لما يرى من جلال الله عز وجل وينكشف له من عظمته، ونقل مثل ذلك عن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه وعمر الفاروق رضي الله عنه.

أما مشاهدة الجمال : فهو التجلي للقلوب بالأنوار والسرور والألطاف، والكلام الذي يذكر الحديث الأنبياء، والإشارة بالمواهب الجسم والمنازل العالية، والقرب منه عز وجل مما سيؤول أمرهم إلى الله عز وجل، وجف به القلم من أقسامهم في سابق الدهور فضلاً منه ورحمة، وإثباتاً منه لهم في الدنيا إلى بلوغ الأجل وهو الوقت المقدور، لئلا تفرط بهم المحبة من شدة الشوق إلى الله تعالى فتنفطر مرائرهم، فيهلكون ويضعفون عن القيام بالعبودية إلى أن يأتيهم اليقين الذي هو الموت، فيفعل ذلك بهم لطفاً منه ورحمة ومداراة لها {إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيِّمٌ} .
الأنعام 139. الحج 25. طيف بهم {رَوْفٌ رَّحِيمٌ} .
التوبة 117+128. النور 20. الحشر 10. ولهذا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول لبلال المؤذن رضي الله عنه (أرحنا بها يا بلال) أي بالإقامة لتدخل في الصلاة لمشاهدة ما ذكرناه من الحال، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : (وجعلت قرة عيني في الصلاة).

المقالة العاشرة

في النفس وأحوالها

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إنما هو الله ونفسك وأنت المخاطب ، والنفس ضد الله وعدوه ، والأشياء كلها تابعة لله ، والنفس له خلقاً وملكاً ، وللنفس ادعاء وتمن وشهوت ولذة بملابستها ، فإذا وافقت الحق عزّ وجلّ في مخالفته النفس وعدوانها فكنت لله خصماً على نفسك كما قال الله عزّ وجلّ لداود عليه السلام : "يا داود أنا بذك اللازم فألزم بذك ، العبودية أن تكون خصماً على نفسك" فتحققت حينئذ موالاتك وعబوديتك لله عزّ وجلّ ، وأنفك الأقسام هنيئاً مريئاً مطبياً وأنت عزيز ومكرم ، وخدمتك الأشياء وعظمتك وفحمتك ، لأنها بأجمعها تابعة لربها موافقة له إذ هو خالقها ومنشئها ، وهي مقرة له بالعبودية . قال الله تعالى : {وَإِنْ مَنْ شَيْءَ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} . الإسراء 44 . {فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ إِثْنَا طَوْعاً أَوْ كَرْهًا قَاتَّا أَتَيْنَا طَائِعَيْنِ} . فصلت 11 . فالعبادة كل العبادة في مخالفته نفسك . قال الله تعالى : {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضْلِلُكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} . ص 26 . وقال لداود عليه السلام : "أهجر هواك فإنه منازع" .

والحكاية المشهورة عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله لما رأى رب العزة في المنام فقال له : كيف الطريق إليك ؟ ، قال : اترك نفسك وتعال ، فقال : فانسلخت كما تنسلخ الحياة من جلدها ، فإذا الخير كله في معادتها في الجملة في الأحوال كلها ، فإن كنت في حال التقوى فالخلاف النفس ، بأن تخرج من حرام الخلق وشبهتهم ومنتهم والاتكال عليهم والثقة بهم والخوف منهم ، والرجاء لهم والطمع فيما عندهم من أحكام الدنيا ، فلا ترج عطاياهم على طريق الهدية والزكاة والصدقة أو النذر ، فاقطع همك منهم من سائر الوجوه والأسباب حتى إن كان لك نسب

ذو مال لا تمن موته لتراث ماله، فاخترج من الخلق جاداً وجعلهم كالباب يرد ويفتح، وشجرة توجد فيها ثمرة تارة وتحتفل أخرى وكل ذلك بفعل فاعل وتدبير مدبر وهو الله جل وعلا، لتكون موحداً للرب، ولا تنس مع ذلك كسبهم لتخالص من مذهب الجبرية، واعتقد أن الأفعال لا تتم بهم دون الله لا تعبدتهم وتنسى الله. ولا تقل فعلهم دون فعل الله فتکفر فتكون قدرياً، لكن قل هي الله خلقاً وللعباد كسباً كما جاءت به الآثار، لبيان موضع الجزاء من الثواب والعقاب، وامثل أمر الله فيهم، وخلص قسم منهم بأمره ولا تجاوزه فحكم الله قائم بحكمه عليك وعليهم، فلا تكون أنت الحكم، وكونك معهم قدر والقدر ظلمة فادخل بالظلمة في المصباح وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لا تخرج عنهما فإن خطر خاطر أو وجد إلهام فاعرضه على الكتاب والسنة، فإن وجدت فيها تحريم ذلك مثل أن تلهم بالزنا والرياء ومخالطة أهل الفسق والفحوج وغير ذلك من المعاصي، فادفعه عنك واهجره ولا تقبله ولا تعمل به، واقطع بأنه من الشيطان اللعين نعوذ بالله منه. وإن وجدت فيها إباحة كالشهوات المباحة من الأكل أو الشرب أو اللبس أو النكاح فاهجره أيضاً ولا تقبله، واعلم أنه من إلهام النفس وشهواتها وقد أمرت بمخالفتها وعدايتها. وإن لم تجد في الكتاب والسنة تحريمه وإباحته، بل هو أمر لا تعقله مثل السائق لك أئت موضع كذا وكذا، الق فلاناً صالحاً، ولا حاجة لك هناك ولا في الصالح لاستغنانك عنه بما أولاك الله من نعمته من العلم والمعرفة، فتوقف في ذلك ولا تبادر إليه فتقول هذا إلهام من الحق جل وعلا فأعمل به بل انتظر الخير كله في ذلك وفعل الحق عز وجل لأن يتكرر ذلك الإلهام وتؤمر بالسعي، أو علامة تظهر لأهل العلم بالله عز وجل يعقلها العقلاة من الأولياء والمؤيدون من الأبدال، وإنما لم يتبادر إلى ذلك لأنك لا تعلم عاقبته وما يؤول الأمر إليه، وما كان فيه فتنة وهلاك ومكر من الله وامتحان فاصبر حتى يكون هو عز وجل الفاعل فيك، فإذا تجرد الفعل وحملت إلى هناك واستقبلتك فتنة كنت محمولاً محفوظاً فيها، لأن الله تعالى لا يعاقبك على فعله وإنما تتطرق العقوبة نحوك لكونك في الشيء، وإن كنت في حالة الحقيقة وهي حالة الولاية فخالف هواك واتبع الأمر في جملة.

وابتع الأمر على قسمين :

أحدهما أن تأخذ من الدنيا القوت الذي هو حق النفس وترك الحظ ، و يؤدي الفرض
وتشغل بترك الذنوب ما ظهر منها وما بطن.

والقسم الثاني ما كان بأمر باطن، وهو أمر الحق عز وجل، يأمر عبده وينهاه، وإنما يتحقق
بهذا الأمر في المباح الذي ليس له حكم في الشرع على معنى ليس من قبيل النهي ولا من قبيل
الأمر الواجب، بل هو مهمل ترك العبد يتصرف فيه باختياره فسمي مباحاً فلا يحدث للعبد فيه
شيئاً من عنده بل ينتظر الأمر فيه، فإذا أمر امتنى فتصير حركاته وسكناته بالله عز وجل، ما في
الشرع حكمه فالشرع، وما ليس له حكم في الشرع فالامر الباطن فحينئذ يصير محقاً من أهل
الحقيقة، وما ليس فيه أمر باطن فهو مجرد الفعل حاله التسليم، وإن كت في حالة حق الحق
وهي حالة المحو والفناء وهي حالة الأبدال المنكسرى القلوب لأجله الموحدين العارفين أرباب
العلوم والعقل السادة الأمراء الشحن خفراء الخلق خلفاء الرحمن وأخلائه وأعيانه وأحبابه عليهم
السلام، فإتباع الأمر فيها بمخالفتك إياك بالتبرى من الحول والقوه، وأن لا يكون لك إرادة وهمة
في شيء البتة دنيا وعقبى، فتكون عبد الملك لا عبد الملك وعبد الأمر لا عبد الهوى كالطفل
مع الظاهر، والميت الغسيل مع الغسل، والمريض المقلوب على جنبيه بين يدي الطبيب فيما سوى
الأمر والنهي والله أعلم.

المقالة الحادية عشرة

في الشهوة

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا ألقيت عليك شهوة النكاح في حالة الفقر وعجزت عن مؤنته فصبرت عنه متضرر الفرج من الباري عز وجل، إما بزوالها وإقلاعها عنك بقدرته التي ألقاها عليك وأوجدها فيك فيعينك أو يصونك وحياتك عن حمل مؤنتها أيضاً أو بإيصالها إليك موهبة مهنياً مكفيأً من غير ثقل في الدنيا ولا تعب في العقبى، وسماك الله عز وجل صابراً شاكراً لصبرك عنها راضياً بقسمته فزادك عصمة وقوة. فإن كان قسماً لك ساقها إليك مكفيأً مهنياً فينقلب الصبر شakraً، وهو عز وجل وعد الشاكرين بالزيادة في العطاء قال الله عز وجل : {لَئِن شَكَرْتُمْ لَأُزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}. إبراهيم 7.

وإن لم تكن قسماً لك فالغنى عنها بقلعها من القلب إن شاءت النفس أو أبى، فلازم الصبر وخالف الهوى وعائق الأمر وارض بالقضاء، وارج بذلك الفضل والعطاء، وقد قال الله تعالى : {إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}. الزمر 10.

المقالة الثانية عشرة

في النهي عن حب المال

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا أعطاك الله عزّ وجلّ مالاً فاشتغلت به عن طاعته حجبك به عنه دنيا وأخرى، وربما سلبك إياه وغيرك وأفقرك لاشتغالك بالنعمة عن المنعم، وإن اشتغلت بطاعته عن المال جعله موهبة ولم ينقص منه حبة واحدة وكان المال خادمك وأنت خادم المولى، فتعيش في الدنيا مدللاً وفي العقبى مكرماً مطيناً في جنة المأوى مع الصديقين والشهداء والصالحين.

المقالة الثالثة عشرة

في التسليم لأمر الله

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا تختر جلب النعماء ولا دفع البلوى، فالنعماء واصلة إليك إن كانت قسمك استجلبتها أو كرهتها، والبلوى حالة بك إن كانت قسمك قضية عليك سواء كرهتها أو رفعتها بالدعاء أو صبرت وتجلدت لرضى المولى، بل سلم في الكل، فيفعل الفعل فيك، فإن كانت النعماء فاشتغل بالشك، وإن كانت البلوى فاشتغل بالتصبر والصبر، أو الموافقة والتنعم بها أو العدم أو الفداء فيها على قدر ما تعطى من الحالات وتنقل فيها، وما تسير في المنازل في طريق المولى الذي أمرت بطاعته والموالة، لتصل إلى الرفيق

الأعلى، فتقام حينئذ مقام من تقدم ومضى من الصديقين والشهداء والصالحين، لتعاين من سبقك إلى الملك ومنه دنا، ووجد عنده كل طريقة وسروراً وأمناً، وكرامة ونعمـا.

دع البـلية تزورك، خـل من سـبـيلـها، ولا تـقـف ولا تـجـزـع من مـجيـئـها وـقـرـبـها، فـليـس نـارـها أـعـظـم من نـار جـهـنـم ولـظـى، فـقـد ثـبـت في الـخـبـر المـرـوـي عن خـيـر الـبـرـية، وـخـيـر من حـمـلـتـه الـأـرـض وأـظـلـتـه السـمـاء مـحـمـد الـمـصـطـفـى صـلـى اللـهـ عـلـيـه وـسـلـمـ آـنـه قال : (إـن نـار جـهـنـم تـقـول لـلـمـؤـمـن جـزـ يـا مـؤـمـن فـقـد أـطـفـأ نـورـك لـهـيـ) فـهـل كـان نـورـ الـمـؤـمـن الـذـي أـطـفـأ لـهـبـ النـارـ في لـظـى إـلا الـذـي صـحـبـهـ في الدـنـيـا الـذـي لـن يـمـرـ مـن أـطـاعـهـا وـعـصـىـ، فـلـيـطـفـيـ هـذـا النـورـ لـهـبـ الـبـلـوـيـ، وـلـتـجـدـ بـرـدـ صـبـرـكـ وـمـوـافـقـتـكـ لـلـمـوـلـيـ وـهـيـجـ ماـ حـلـ بـكـ مـن ذـلـكـ وـمـنـكـ دـنـاـ، فـالـبـلـيـة لـم تـأـتـكـ لـتـهـلـكـ، لـكـنـها تـأـتـيـكـ لـتـجـربـكـ وـتـحـقـقـ صـحـةـ إـيمـانـكـ وـتـوـثـيقـ عـرـوـةـ يـقـيـنـكـ وـيـشـرـكـ باـطـنـهـ مـنـ مـوـلـاـكـ بـمـبـاهـاتـهـ بـكـ، قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ : {وَلَنَبْلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُو أَخْبَارَكُمْ} . محمد 31. فإذا ثبت مع الحق إيمانك ووافقته في فعله يقينك كل ذلك بتوفيق منه ومنه، فكن حينئذ أبداً صابراً موافقاً مُسَلِّماً لا تحدث فيك ولا في غيرك حادثة ما خرج عن الأمر والهـيـ، فإذا كان أمره عـزـ وـجـلـ فـتـسـامـعـ وـتـسـارـعـ وـتـحـرـكـ وـلـا تـسـكـنـ وـلـا تـسـلـمـ لـلـقـدـرـ وـالـفـعـلـ، بل اـبـذـلـ طـوقـكـ وـجـهـودـكـ لـتـؤـديـ سـبـبـ عـجزـكـ عن أـدـاءـ أـمـرـهـ وـصـدـكـ عن التـشـوـقـ لـطـاعـتـهـ لـعـلـ ذـلـكـ لـشـؤـمـ دـعـائـكـ وـسـوءـ أـدـبـكـ في طـاعـتـهـ، وـرـعـونـتـكـ وـاتـكـالـكـ عـلـىـ حـولـكـ وـقـوـتـكـ، وـإـعـجـابـكـ بـعـلـمـكـ وـشـرـكـكـ إـيـاـكـ بـنـفـسـكـ وـخـلـقـهـ، فـصـدـكـ عن بـابـهـ، وـعـزـلـكـ عن طـاعـتـهـ وـخـدـمـتـهـ، وـقـطـعـ عنـكـ مـدـ تـوـفـيقـهـ، وـوـلـيـ عنـكـ وـجـهـ الـكـرـيمـ، وـمـقـتـكـ وـقـلـاـكـ، وـشـغـلـكـ بـبـلـائـكـ دـنـيـاـكـ وـهـوـاـكـ، وـإـرـادـتـكـ وـمـنـاكـ.

أما تعلم أن كل ذلك مشغول عن ذلك، وقاطعك عن عين الذي خلقك ورباك، وحولك وأعطيك وأحياك.

احذر لا يلهيك عن مولاك غير مولاك، وكل من سوى مولاك غيره، فلا تؤثر عليه غيره فإنه خلقك له، فلا تظلم نفسك فتشغل بغيره عن أمره فيدخلك النار التي وقودها الناس والحجارة

فتندم، فلا ينفعك الندم، وتعذر فلا تعذر، وتستعيض فلا تعتب، وتسترجع إلى الدنيا ل تستدرك
وتصلح فلا ترجع.

ارحم نفسك وأشفق عليها، واستعمل الآلات والأدوات التي أعطيتها في طاعة مولاك من
ال فعل والإيمان والمعرفة والعلم.

استضيء بنورهما في ظلمات الأقدار، وتمسك بالأمر والنهي، وسيرهما في طريق مولاك
وسلم ما سواهما إلى الذي خلقك وأنشأك، فلا تكفر بالذي خلقك من تراب ورباك، ثم من نطفة
ثم رجلاً سواك، ولا ترد غير أمره، ولا تكره غير نهيه.

اقنع من الدنيا والأخرى بهذا المراد واكره فيهما هذا المكرور، فكل ما يراد تبع لهذا
المراد، وكل مكرور تبع لهذا المكرور.

إذا كنت مع أمره كانت الأكون في أمرك، وإذا كرهت نهيه فرت منك المكاره أين كنت
وحللت.

قال الله عز وجل في بعض كتبه : (يا ابن آدم أنا الله لا إله إلا أنا أقول للشيء كن فيكون ،
أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون) وقال عز وجل : (يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن
خدمك فأتعبيه) فإذا جاء نهيه عز وجل فكن كأنك مسترخي المفاصل، مسكن الحواس، مضيق
الذرع، متماوت الجسد، زائل الهوى، منطمس الوسوم، منمحى الرسوم، منسي الأثر، مظلم القنا،
متهدّم البناء، خاوي البيت، ساقط العرش، لا حس ولا أثر، فليكن سمعك كأنه أصم وعلى ذلك
مخلوق، وبصرك كأنه معصب أو مرمود أو مطموس، وشفتكا كأن بهما قرحة وبثوراً، ولسانك كأنه
به خرساً وكلولاً، وأسنانك كأن بهما ضرياناً وألماً ونشوراً، ويداك كأن بهما شلالاً وعن البطش
قصوراً، ورجالك كأن بهما رعدة وارتعاشًا وجروحاً، وفرجك كأن به عنة وبغير ذلك الشأن مشغولاً،
وبطنك كأن به امتلاء وارتواء وعن الطعام غنى، وعقلك كأنك مجنون ومخبول، وجسدك كأنك
ميت وإلى القبر محمول، فالتسامع والنسارع في الأمر، والتعاقد والتجاءع والتقاصر في النهي،

والتماوت والتعادم والتغافل في القدر، فاشرب هذه الشربة، وتداو بهذا الدواء، وتغذ ب بهذا الغذاء، تنجح وتشفي، وتعافي من أمراض الذنب وعمل الأهواء، بإذن الله تعالى إن شاء الله.

المقالة الرابعة عشرة

في إتباع أحوال القوم

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : لا تدع حالة القوم يا صاحب الهوى أنت تبعد الهوى
وهم عبيد المولى، أنت رغبتك في الدنيا ورغبة القوم في العقبى، أنت ترى الدنيا وهم يرون ربّ
الأرض والسماء، وأنت أنسك بالخلق وأنس القوم بالحق، أنت قلبك متعلق بمن في الأرض
وقلوب القوم بربّ العرش، أنت يصطادك من ترى وهم لا يرون من ترى بل يرون خالق الأشياء وما
يرى، فاز القوم به وحصلت لهم النجاة، وبقيت أنت مرتهناً بما تشهي من الدنيا وتهوى، فنوا عن
الخلق والهوى والإرادة والمنى فوصلوا إلى الملك الأعلى، فأوقفهم على غاية ما رام منهم من
الطاعة والجد والشاء {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْمٌ}. المائدة 54. فلازموا
ذلك وواظبووا بتوفيق منه وتيسيير بلا عناء، فصارت الطاعة لهم روحًا وغذاء، وصارت الدنيا إذ
ذاك في حقهم نعمة وخزيًا، فكأنها لهم جنة المأوى إذ ما يرون شيئاً من الأشياء حتى يروا قبله
فعل الذي خلق وأنشأ فيهم ثبات الأرض والسماء، وقرار الموت والإحياء إذ جعلهم مليكهم
أوتاداً للأرض الذي دحى، فكل كالجبل الذي رسى، ففتح عن طريقهم ولا تزاحم من لم يفده عن
قصده الآباء والأبناء، فهم خير من خلق ربى وبث في الأرض وذرأ، فعليهم سلام الله وتحياته ما
دامت الأرض والسماء.

المقالة الخامسة عشرة

في الخوف و الرجاء

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : رأيت في المنام كأنني في موضع شبه مسجد وفيه قوم منقطعون، فقلت : لو كان لهؤلاء فلان يؤدبهم ويرشدهم، فأشرت إلى رجل من الصالحين فاجتمع القوم حولي فقال واحد منهم : فأنت لأي شيء لا تتكلّم ؟ فقلت : إن رضيتموني بذلك، ثم قلت : إذا انقطعتم من الخلق إلى الحق فلا تسألو الناس شيئاً بأسنتكم، فإذا تركتم ذلك فلا تسألوهم بقلوبكم، فإن السؤال بالقلب كالسؤال باللسان.

ثم اعلموا أن الله {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأنٍ}. الرحمن 29. في تغيير وتدليل ورفع وخفض، فقوم يرفعهم إلى عليين، وقوم يحطهم إلى أسفل سافلين، فخوف الذين رفعهم إلى عليين أن يحطهم إلى أسفل سافلين، ورجاؤهم أن يقيهم ويحفظهم على ما هم عليه من الرفع، وخوف الذين حطهم إلى أسفل سافلين، أن يقهم ويخلدهم على ما هم فيه من الحط، ورجاؤهم أن يرفعهم إلى عليين، ثم انتبهت.

المقالة السادسة عشرة

في التوكل و مقاماته

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ما حجبت عن فضل الله و نعمه إلا لاتكالك على الخلق والأسباب ، والصنائع والاكتساب ، فالخلق حجابك عن الأكل بالسنة وهو المكسب ، فما دمت قائماً مع الخلق راجياً لعطياتهم وفضلهم سائلاً لهم متربداً إلى أبوابهم فأنت مشرك بالله خلقه ، فيعاقبك بحرمان الأكل بالسنة الذي هو الكسب من حلال الدنيا ، ثم إذا تبت عن القيام مع الخلق وشركك ربّك عزّ وجلّ إياهم ورجعت إلى الكسب فتأكل بالكسب وتتوكل على الكسب وتطمئن إليه وتنسى فضل الرب عزّ وجلّ ، فأنت مشرك أيضاً ، إلا أنه شرك خفي أخفى من الأول ، فيعاقبك الله عزّ وجلّ ويحجبك عن فضله والبداءة به ، فإذا تبت عن ذلك وأزلت الشرك عن الوسط ، ورفعت اتكالك عن الكسب والحوال والقوة ، ورأيت الله عزّ وجلّ هو الرزاق ، وهو المسipp والممهل والمقوي على الكسب ، والموفق لكل خير والرّزق بيده ، تارة يواصلك به طريق الخلق على وجه المسألة لهم في حالة الابتلاء أو الرياضة أو عند سؤالك له عزّ وجلّ ، وأخرى بطريق الكسب معاوضة وأخرى من فضله مبادأة من غير أن ترى الواسطة والسبب ، فرجعت إليه واستطرحت بين يديه ، ورفع الحجاب بينك وبين فضله ، وباداك وغذاك بفضله ، عند كل حاجة على قدر ما يوافق حالك ، كفعل الطبيب الشفيف الرقيق الحبيب للمريض حماية منه عزّ وجلّ ، وتنزيهاً لك عن الميل إلى من سواه ، يرضيك بفضله ، فإذاً ينقطع عن قلبك كل إرادة وكل شهوة ولذة ومطلوب ومحبوب ، فلا يبقى في قلبك سوى إرادته عزّ وجلّ ، فإذا أراد أن يسوق إليك قسمك الذي لابد من تناوله وليس هو رزقاً لأحد من خلقه سواك ، أوجد عندك شهوة ذلك القسم وساقه إليك ، فيواصلك به عند الحاجة ، ثم يوففك ويعرفك أنه منه وهو سائقه إليك ورازقه لك ، فتشكره حينئذٍ وتعرف وتعلم ، فيزيدك خروجاً من الخلق وبعداً من الأنام ، وأخليت الباطن بما سواه عزّ وجلّ ، ثم إذا قوي علمك وبيقينك ، وشرح صدرك ونور قلبك ، وزاد قربك من مولاك ومكانتك لديه ، وأهليةتك لحفظ الأسرار علمت متى يأتيك قسمك كرامة لك وإنجلاً

لحرمتك فضلاً منه ومنه وهداية، قال الله تعالى : {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدِونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}. السجدة 24. وقال الله تعالى : {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهَدِيَنَّهُمْ سُبُّلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}. العنکبوت 69. وقال تعالى : {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ}. البقرة 282. ثم يرد عليك التكوين فتكون بالإذن الصريح الذي هو لا غبار عليه والدلالات اللاحقة كالشمس المنيرة، وبكلامه الذي هو ألد من كل لذيد، وإلهام صدق من غير تلبس مصفي من هوا جس النفس ووساووس الشيطان الرجيم.

قال الله تعالى في بعض كتبه : (يا ابن آدم أنا الله الذي لا إله إلا أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون)، وقد فعل ذلك بكثير من أنبيائه وأوليائه وخواصه من بنى آدم.

المقالة السابعة عشرة

في كيفية الوصول إلى الله بواسطة المرشد

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : إذا وصلت إلى الله قربت بتقريريه وتوفيقه، ومعنى الوصول إلى الله عز وجل خروجك عن الخلق والهوى والإرادة والمنى، والثبوت مع فعله ومن غير أن يكون منك حركة فيك ولا في خلقه بك، بل بحكمه وأمره وفعله، فهي حالة الفناء يعبر عنها بالوصول، فالوصول إلى الله عز وجل ليس كالوصول إلى أحد من خلقه المعقول المعهود {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}. الشورى 11. جل الخالق أن يشبه بمخلوقاته أو يقاس على مصنوعاته، فالواصل إليه عز وجل معروف عند أهل الوصول بتعريفه عز وجل لهم كل واحد على حدة لا يشاركه فيه غيره، وله عز وجل مع كل واحد من رسليه وأنبيائه وأوليائه سر من حيث هو لا

يطلع على ذلك أحد غيره، حتى أنه قد يكون للمريض سر لا يطلع عليه شيخه، وللشيخ سر لا يطلع عليه مريضه الذي قد دنا سيره إلى عتبة باب حالة شيخه، فإذا بلغ المريض حالة شيخه أفرد عن الشيخ وقطع عنه، فيتوله الحق عزوجل فيفطمته عن الخلق جملة، فيكون الشيخ كالضرر والدأة، لا رضاع بعد الحولين، ولا خلق بعد زوال الهوى والإرادة. الشيخ يحتاج إليه ما دام ثم هو وإرادة لكسرهما، وأما بعد زوالهما فلا، لأنه لا كدوره ولا نقصان، فإذا وصلت إلى الحق عزوجل على ما بینا فکن آمناً أبداً من سواه عزوجل فلا ترى لغيره وجوداً البتة، لا في الضر ولا في النفع، ولا في العطاء ولا في المنع، ولا في الخوف ولا في الرجاء، هو عزوجل {أهؤ التقوى وأهؤ المغفرة}. المدثر 56. فكن أبداً ناظراً إلى فعله متربقاً لأمره. مشغلاً بطاعته، مبایناً عن جميع خلقه دنيا وأخرى.

لا تعلق قلبك بشيء منهم واجعل الخلية أجمع كرجل كتفه سلطان عظيم ملكه شديد أمره، مهولة صولته وسلطته، ثم جعل الغل في رقبته ورجليه، ثم صلبه على شجرة الأرزة، على شاطئ نهر عظيم موجه، فسيح عرضه، عميق غوره، شديد جريه، ثم جلس السلطان على كرسيه، عظيم قدره، عال سماوه، بعيد مرامه ووصوله، وترك إلى جنبه أحمالاً من السهام والرماح والنبل وأنواع السلاح والقسبي ومما لا يبلغ قدرها غيره، فجعل يرمي إلى المصلوب بما شاء من ذلك السلاح، فهل يحسن لمن يرى ذلك أن يترك النظر إلى السلطان والخوف منه والرجاء له وينظر إلى المصلوب ويختاف منه ويرجوه، أليس من فعل ذلك يسمى في قضية العقل عديم العقل والحس مجنوناً. بهيمة غير إنسان؟ نعوذ بالله من العمى بعد البصيرة، ومن القطيعة بعد الوصول، ومن الصدود بعد الدنو والقرب، ومن الضلاله بعد الهدایة، ومن الكفر بعد الإيمان، فالدنيا كالنهر العظيم الجاري الذي ذكرناه كل يوم في زيادة ماء وهي شهواتبني آدم ولذاتهم فيها، والدواهي التي تصيبهم منها، وأما السهام وأنواع السلاح فالبلايا التي يجري بها القدر إليهم، فالغالب علىبني آدم في الدنيا البلايا والآلام والمحن، وما يجدون من النعم واللذات فيها فمشوبة بالآفات إذا اعتبرها كل عاقل لا حياة له ولا عيش ولا راحة إلا في الآخرة إن كان مؤمناً، لأن ذلك خصوصاً في حق المؤمن. قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا عيش إلا عيش الآخرة) وقال عليه الصلاة والسلام : (لا راحة للمؤمن دون لقاء ربها) ذلك في حق المؤمنين . وقال صلى الله عليه وسلم : (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) . وقال عليه الصلاة والسلام : (الثقي ملجم) فمع

هذه الأخبار والعيان كيف يدعى طيب العيش في الدنيا. فالراحة كل الراحة في الانقطاع إلى الله عزّ وجلّ موافقته، والاستطراح بين يديه، فيكون العبد بذلك خارجاً عن الدنيا، فحينئذ يكون الدلال رأفة ورحمة ولطفاً وفضلاً، والله أعلم.

المقالة الثامنة عشرة

في النهي عن الشكوى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : الوصية لا تشكون إلى أحد ما نزل بك من خير كائناً من كان صديقاً أو عدواً ولا تتهمن الرب عزَّ وجَلَّ فيما فعل فيك وأنزل بك من البلاء، بل أظهر الخير والشکر، فكذبك باظهارك للشکر من غير نعمة عندك خير من صدفك في إخبارك جلية الحال بالشكوى، من الذي خلا من نعمة الله عزَّ وجَلَّ؟ قال الله تعالى : {وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا}.^{النحل 18.} فكم من نعمة عندك وأنت لا تعرفها؟ لا تسكن إلى أحد من الخلق، ولا تستأنس به، ولا تطلع أحداً على ما أنت فيه، بل يكون أنسك بالله عزَّ وجَلَّ، وسكونك إليه وشكواك منه وإليه لا ترى ثانياً، فإنه ليس لأحد ضر ونفع، ولا جلب ولا دفع، ولا عزَّ ولا ذل، ولا رفع ولا خفض، ولا فقر ولا غنى، ولا تحريك ولا تسكين، الأشياء كلها خلق الله عزَّ وجَلَّ وبيد الله عزَّ وجَلَّ، بأمره وإذنه جريناها، وكل يجري لأجل مسمى، وكل شيء عنده بمقدار، لا مقدم لما آخر، ولا مؤخر لما قدم، قال الله عزَّ وجَلَّ : {وَإِنْ يَمْسِسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَ لِفَضْلِهِ يُصَبِّ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}.^{يونس 107.} فإن شكوت منه عزَّ وجَلَّ وأنت معافي وعندك نعمة طالباً الزيادة وتعامياً عن ماله عندك من النعمة والعافية استهزأ بها، غضب عليك وأزالهما عنك، وحقق شكواك، وضاعف بلواك، وشدد عقوبتك ومقتلك وقلاك، وأسقطك من عينه : احذر الشكوى جداً ولو قطعت وقرض لحمك بالمقاريض.

إيَّاكَ إِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ، اللَّهُ اللَّهُ ثُمَّ اللَّهُ، النَّجَاةُ النَّجَاةُ، الْحَذْرُ الْحَذْرُ، فَإِنْ أَكْثَرَ مَا يَنْزَلُ بَابِنَ آدَمَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ بِشَكْوَاهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وجَلَّ. كَيْفَ يَشْتَكِي مِنْهُ عَزَّ وجَلَّ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَخَيْرُ الْحَاكِمِينَ، حَكِيمٌ خَبِيرٌ، رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ، وَلَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ، كَطِيبٌ حَكِيمٌ حَبِيبٌ

شقيق لطيف قريب هل تتهمن الوالدة الرحيمة، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (الله أرحم بعده من الوالدة بولدها). أحسن الأدب يا مسكين، تصرّب عند البلاء إن ضعفت على الصبر، ثم اصبر إن ضعفت عن الرضا والموافقة، ثم أرض ووافق إن وجدت، ثن أفن إذا فقدت، أيها الكبيرات الأحمر أين أنت أين توجد وترى؟؟ أما تسمع إلى قوله عزّ وجلّ : {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}. البقرة 216. طوى عنك علم حقيقة الأشياء وحجبك عنه، فلا تسيء الأدب فتكره بك أو تحب بك، بل اتبع الشرع في جميع ما ينزل بك إن كنت في حالة التقوى التي هي القدم الأولى، واتبع الأمر في حالة الولاية وحمود وجود الهوى ولا تتجاوزه وهي القدم الثانية، وأرض بالفعل ووافق، وافن في حالة البدلية والغوثية والقطبية والصديقية، وهي المنتهي، تنح عن طريق القدر، خل عن سبيله، رد نفسك وهواك، كف لسانك عن الشكوى، فإذا فعلت ذلك، إن كان خيراً زادك المولى طيبة وسروراً ولذة، وإن كان شراً حفظك في طاعته فيه، وأزال عنك الملامة، وأفقدك فيه حتى يتتجاوز عنك، ويرحل عند انقضاء أجله، كما ينقضي الليل فيسفر عن النهار، والبرد في الشتاء فيسفر عن الصيف، ذلك أنموذج عندك، فاعتبر بهم، ثم ذنوب وآثام وإجرام وتلويثات بأنواع المعاصي والخطيئات ولا يصلح لمجالسة الكريم إلا الطاهر عن أنجاس الذنوب والزلات، ولا يقبل على سدته إلا طيباً من درن الدعاوى والوهوسات، كما لا يصلح لمجالسة الملوك إلا الطاهر من الأنجاس وأنواع النتن والأوساخ، فالبلايا مكفرات مطهرات قال النبي صلى الله عليه وسلم : (حمى يوم كفارة سنة) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المقالة التاسعة عشرة

في الأمر بوفاء العهد والنهي عن خلفه

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا كنت ضعيف الإيمان واليقين ووعدت بوعد وفّ
بوعدك ، ولا تخلف كيلاً يزول إيمانك ويذهب يقينك .

وإذا قوي ذلك في قلبك وتمكنت خوطبت بقوله : {إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ} . يوسف 54 . وتكرر هذا الخطاب لك حالاً بعد حال فكنت من الخواص بل من خواص الخواص ولم يبق لك إرادة ولا مطلب ، ولا عمل تعجب به ولا قربة تراها ، ولا منزلة تلمحها ، فتسمو همتك إليها ، فصرت كالإناء المتشلّم الذي لا يثبت فيه مائع ، فلا يثبت فيك إرادة ولا خلق ولا همة إلى شيء من الأشياء دنيا وأخرى ، وطهرت مما سوى الله تعالى ، وأعطيت رضاك عن الله عزّ وجّلّ ، ووعدت برضوانه عزّ وجّلّ عنك ، ولذذت ونعمت بأفعال الله عزّ وجّلّ أجمع ، فحينئذ توعد بوعد ، فإذا اطمأنست إليه ووجدت فيه إمارة إرادة ما نقلت عن ذلك الوعد إلى ما هو أعلى منه ، وصرفت إلى أشرف منه ، وعوضت عن الأول بالغنى عنه ، وفتحت لك أبواب المعارف والعلوم وأطلعت على غوامض الأمور وحقائق الحكمة والمصالح المدفونة في الانتقال من الأول إلى ما يليه ويزاد حينئذ في مكانتك في حفظ الحال ثم المقال ، وفي أمانتك في حفظ الأسرار وشرح الصدور وتنوير القلب وفصاحة اللسان والحكمة البالغة في إلقاء المحبة عليك ، فجعلت محبوب الخليقة أجمع الشقلين وما سواهما دنيا وأخرى . إذا صرت محبوب الحق عزّ وجّلّ ، والخلق تابع للحق جلّ وعلا ، ومحبتهم مندرجة في محبته ، كما أن بغضهم يندرج في بغضه عزّ وجّلّ . فإذا بلغت المقام الذي ليس فيه إرادة شيء البتة جعلت لك إرادة شيء من الأشياء ، فإذا تحققت إرادتك لذلك شيء أزيل الشيء وأعدم ، وصرفت عنه فلم تعطه في الدنيا ، وعوضت عنه الأخرى بما يزيدك قربة وزلفي إلى العلي الأعلى ، وما تقر به عيناك في الفردوس الأعلى وجنة

المأوى، وإن كنت لم تطلب ذلك وتأمله وترجوه وأنت في دار الدنيا هي دار الفناء والتكليف والعناء، بل رجاؤك وأنت فيها وجه الذي خلق وبراً ومنع وأعطى، وبسط الأرض ورفع السماء إذ ذاك هو المراد والمطلوب والمنى، وربما عوضت عن ذلك بما هو أدنى منه أو مثله في الدنيا بعد انكسار قلبك وبصرك، حينئذ يصدق عن ذلك المطلوب والمراد، وتحقيق العوض في الأخرى على ما ذكرنا وبيننا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

المقالة العشرون

في قوله صلى الله عليه و سلم :
((دع ما يُرِيبك إلى ما لا يُرِيبك))

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : دع ما يُرِيبك إذا اجتمع مع مالا يُرِيبك، فخذ بالعزيمة الذي لا يشوبها ريب ولا شك، ودع ما يُرِيبك، فأما إذا تجرد المريض المشوب الذي لم يصف عن حز القلب وحكه فتوقف فيه وانظر الأمر فيه، فإن أمرت بتناولهتناوله فدونك وإن أمرت بالكف عنه ومنعت فكك، فليكن ذلك عندك كأنه لم يكن ولم يوجد، ارجع إلى الباب وابلغ عند ربك الرزق، وإن ضعفت عن الصبر أو الموافقة أو الرضا أو الفنا فهو عز وجل لا يحتاج أن يذكر فليس بغافل عنك وعن غيرك، وهو عز وجل يطعم الكفار والمنافقين والمدبرين عنه فكيف ينساك؟؟ أيها المؤمن الموحد المُقبل على طاعته والقائم بأمره في آناء الليل وأطراف النهار.

(وجه آخر) دع ما في أيدي الخلق فلا تطلبه ولا تعلق قلبك به، ولا ترجو الخلق ولا تخافهم، وخذ من فضل الله عز وجل وهو ما لا يُرِيبك، ولتكن لك مسؤول واحد ومرجو واحد ومخوف واحد موجود واحد وهمة واحدة وهو ربك عز وجل الذي نواصي الملوك بيده وقلوب الخلق بيده التي هي أمراء الأجساد، وأموال الخلق له عز وجل، وهم وكلاؤه وأماناؤه، وحركة أيديهم بالعطاء لك بإذنه عز وجل وأمره وتحريكه، وكفها عن عطائك ذلك، قال الله عز وجل : {وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ}. النساء 32. وقال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}. العنکبوت 17. وقال سبحانه : {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}. البقرة 186. وقال تعالى : {إِذْ أَدْعُونِي أَسْتَحِبْ لَكُمْ}. غافر 60. وقال تعالى : {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ}. الذاريات 58. وقال تعالى : {إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}. آل عمران 37.

المقالة الحادية والعشرون

في مكالمة إبليس نعوذ بالله منه

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : رأيت إبليس اللعين في المنام وأنا في جمعٍ كثیر فهممت بقتله، فقال لي لعنه الله لم تقتلني وما ذنبي؟؟ إن جرى القدر بالشر فلا أقدر أغيره إلى خير وأنقله إليه، وإن جرى بالخير فلا أقدر أغيره إلى شر وأنقله إليه، فأي شيء بيدي؟؟ وكانت صورته على صورة الخناثي لين الكلام مشوه الوجه طاقات شعر في ذقنه حقير الصورة دميم الخلقة، ثم تبسم في وجهي تبسم خجل ووجل وذلك في ليلة الأحد الثاني عشر من ذي الحجة من سنة ستة عشر وخمسمائة، والله الهادي لكل خير.

المقالة الثانية والعشرون

في ابتلاء المؤمن على قدر إيمانه

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : لا يزال الله يبتلي عبده المؤمن على قدر إيمانه، فمن عظم إيمانه وكثرة وتزايد عظم بلاؤه، الرسول بلاؤه أعظم من بلاء النبي، لأن إيمانه أعظم، والنبي

بلاؤه أعظم من بلاء البدل وبلاء البدل أعظم من بلاء الولي، كل واحد على قدر إيمانه ويقينه. وأصل ذلك قول النبي صلی الله عليه وسلم : (إنا معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل) فيديم الله تعالى البلاء لهؤلاء السادات الكرام حتى يكونوا أبداً في الحضرة ولا يغفلوا عن اليقظة، لأنه يحبهم، فهم أهل المحبة يحبون الحق، والمحب أبداً لا يختار بعد محبوبه، فالبلاء خطاف لقلوبهم وقيد لنفوسهم، يمنعهم عن الميل إلى غير مطلوبهم والسكون والركون إلى غير خالقهم، فإذا دام ذلك في حقهم ذابت أهوائهم وانكسرت نفوسهم وتميز الحق من الباطل فتنزوي الشهوات والإرادات، والميل إلى اللذات والراحات دنيا وأخرى بأجمعها إلى ما يلي النفس ويصير السكون إلى وعد الحق عزَّ وجَلَّ، والرضا بقضاءه، والقناعة بعطائه، والصبر على بلائه، والأمن من شر خلقه إلى ما يلي القلب، فنقوى شوكة القلب، فتصير الولاية على الجوارح إليه، لأن البلاء يقوى القلب واليقين، ويتحقق الإيمان والصبر، ويضعف النفس والهوى، لأنه كلما وصل الألم ووجد من المؤمن الصبر والرضا والتسليم لفعل الرب عزَّ وجَلَّ، رضي الرب تعالى عنه وشكوه، فجاءه المدد والزيادة والتوفيق. قال الله تعالى : {لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}. إبراهيم ٧ . وإذا تركت النفس بطلب شهوة من شهواتها ولذة من لذاتها من القلب فأجابها القلب إلى مطلوبها ذلك من غير أمر من الله تعالى وإن منه حصلت بذلك غفلة عن الحق تعالى وشرك ومعصية، فعمهما الله تعالى بالخذلان والبلايا وتسلیط الخلق، والأوجاع والأمراض والإيذاء والتشویش، فينال كل واحد من القلب والنفس حظ وإن لم يجب القلب والنفس إلى مطلوبها حتى يأتيه إذن من قبل الحق عزَّ وجَلَّ بإلهام في حق الأولياء، ووحي صريح في حق المرسلين والأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، فعمل ذلك عطاء ومنعاً، وعمهما الله بالرحمة والبركة، والعافية والرضا، والنور والمعرفة، والقرب والغنى والسلامة من الآفات، والنصر على الأعداء فاعلم ذلك وأحفظه وأحذر البلاء جداً في المسارعة إلى إجابة النفس والهوى، بل توقف وترقب في ذلك إذن المولى جلَّ جلاله، فتسلم في الدنيا والعقبى إن شاء الله تعالى.

المقالة الثالثة والعشرون

في الرضا بما قسم الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : أرض بالدون وألزمه جداً حتى يبلغ الكتاب أجله فتنقل إلى الأعلى والأنفس، وبها تهنا وفيه تبقي وتحفظ بلا عناء دنيا وأخرى ولا تبعة ولا عدوى، ثم تترقى من ذلك إلى ما هو أقرب عيناً منه وأهناً.

وأعلم أن القسم لا يفوتك بترك الطلب، وما ليس بقسم لا تناله بحرصك في الطلب والجد والاجتهد، فاصبر وألزم الحال وأرض به، لا تأخذ بك حتى تؤمر، ولا تعطى بك حتى تؤمر، ولا تسحرك بك ولا تسكن بك، فتبتلى بك وبمن هو شر منك من الخلق لأنك بذلك تظلم والظالم لا يغفل عنه قال الله عز وجل : {وَكَذَلِكَ نُولِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا}. الأنعام 129. لأنك في دار ملك عظيم أمره شديدة شوكته، كثير جنده نافذة مشيئته قاهر حكمه باق ملكه دائم سلطانه دقيق علمه باللغة حكمته عدل قضاوه {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ}. سباء 3. لا يجاوزه ظلم ظالم فأنت أعظمهم ظلماً وأكبرهم جريمة، لأنك أشركت بتصرفك فيك وفي خلقه عز وجل بھواك. قال الله تعالى : {لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}. لقمان 13. وقال تعالى : {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ}. النساء 48_116. أتق الشرك جداً ولا تقربه، واجتنبه في حركاتك وسكناتك وليلك ونهارك، في خلوتك وجلوتك. وأحذر المعصية في الجملة في الجوارح والقلب واترك الإثم ما ظهر منه وما بطن. لا تهرب منه عز وجل فيدركك، ولا تنازعه في قضائه فيقصمك، وتتهمه في حكمه فيخذلك، ولا تغفل عنه فينبهك ويبتليك، ولا تحدث في داره حادثة فيهلكك، ولا تقل في دينه بھواك فيرديك ويظلم قلبك، ويسلب إيمانك ومعرفتك، ويسلط عليك شيطانك ونفسك وهواك وشهواتك وأهلك وجيرانك وأصحابك وأخلاقك وجميع خلقه حتى عقارب دارك وحياتها وجنتها وبقية هومتها فينغض عيشك في الدنيا ويطيل عذابك في العقبى.

المقالة الرابعة والعشرون

في الحث على ملازمة باب الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أحذر معصية الله عز وجل جداً، وألزم بابه حقاً وأبذل طوقك وجهدك في طاعته متذرراً متضرعاً مفتقرأ خاضعاً، متخشعأ مطرقاً، غير ناظر إلى خلقه ولا تابع لهواك، ولا طالب للأعواض دنيا وأخرى، ولا ارتقاء إلى المنازل العالية والمقامات الشريفة، واقطع بأنك عبده والعبد وما ملك لمولاه، لا يستحق عليه شيئاً من الأشياء، أحسن الأدب ولا تتهم مولاك، فكل شيء عنده بمقدار، لا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم، يأتيك ما قدر لك عند وقته وأجله إن شئت أو أبيت، لا تشره على ما سيكون لك، ولا تطلب وتلهف على ما هو لغيرك، فما ليس هو عندك لا يخلو إما أن يكون لك أو لغيرك، فإن كان لك فهو إليك صائر وأنت إليه مقاد ومسير، فاللقاء عن قريب حاصل، وما ليس لك فأنت عنه مصروف وهو عنك مول فأني لكما التلاق فاشغل بإحسان الأدب فيما أنت بصدده من طاعة مولاك عز وجل في وقتك الحاضر، ولا ترفع رأسك ولا تمل عنقك إلى ما سواه. قال الله تعالى : {وَلَا تَمْدَنْ عَيْنِيَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} . طه 131 . فقد نهاك الله عز وجل عن الالتفات إلى غير ما أقامك فيه ورزقك من طاعته وأعطاك من قسمه ورزقه وفضله، ونبهك أن ما سوى ذلك فتنة افتنهم به، ورضاك قسمك خير لك وأبقى وأبرك وأحرى وأولي، فليكن هذا دأبك ومتقلبك ومشواك، وشعارك ودثارك ومرادك ومرامك، وشهوتك ومناك، تنل به كل المرام، وتصل به إلى كل مقام وترقي به إلى كل خير ونعم وطريف وسرور ونفيس. قال الله تعالى : {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} . السجدة 17 . ولا

عمل بعد العبادات الخمس وترك الذنوب، ولا أجمع ولا أعظم ولا أشرف ولا أحب إلى الله عزّ وجَلَّ، ولا أرضى عنده مما ذكرنا لك، وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى بمنه.

المقالة الخامسة والعشرون

في شجرة الإيمان

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : لا تقولن يا فقير اليد، يا مولى عنه الدنيا وأبناؤها، يا خامل الذكر بين ملوك الدنيا وأربابها، يا جائع يا نايع يا عريان الجسد يا ظمآن الكبد يا مشتتاً في كل زاوية من الأرض من مسجد وبقاع خراب، ومردوداً من كل باب، ومدفوعاً عن كل مراد، ومنكسراً ومزدحماً في قلبه كل حاجة مرام. إن الله تعالى أفقني وذوى عنى الدنيا وغبني، وتركتني وقلاني وفرقني ولم يجعنى، وأهانني ولم يعطنى من الدنيا كفاية، وأحملني ولم يرفع ذكري بين الخليقة وإخواني، وأسليل على غيري نعمة منه سابعة يتقلب فيها في ليله ونهاره، وفضله عليّ وعلى أهل دياري وكلانا مسلمان مؤمنان ويجمعنا أبونا آدم وأمنا حواء عليهما السلام، أما أنت فقد فعل الله ذلك بك، لأن طينتك حرة وندى رحمة الله متدارك عليك من الصبر والرضا واليقين والموافقة والعلم وأنوار الإيمان والتوحيد متراكماً لديك، فشجرة إيمانك وغرسها وبذرها ثابتة مكينة مورقة مشمرة متزايدة متشعبه غضة مظللة متفرعة، فهي كل يوم في زيادة ونمو، فلا حاجة بها إلى سباته وعلف لتنمى بها وتربى، وقد فرغ الله عزّ وجَلَّ من أمرك على ذلك، وأعطيك في الآخرة دار البقاء وخلوك فيها، وأجزل عطاءك في العقبى مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. قال الله تعالى: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفِي لَهُمْ مِنْ قُرْبَةٍ أَغْيُنْ جَزَاءٍ بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ}. السجدة 17. أي ما عملوا في الدنيا من أداء الأوامر، والصبر على ترك المنهى، والتسليم والتفويض إليه في المقدور، والموافقة له في جميع الأمور. وأما الغير الذي أعطاه الله عزّ وجلّ الدنيا وحوله ونعمه بها وأسبغ عليه فضله فعل به ذلك، لأن محل إيمانه أرض سبخة وصحر لا يكاد يثبت فيها الماء وتنبت فيها الأشجار، ويترى فيها الزرع والشمار فصب عليها أنواع سباته وغيرها مما يربى به النبات والأشجار، وهي الدنيا وحطامها ليحفظ بها ما أنبت فيها من شجرة الإيمان وغرس الأعمال، فلو قطع ذلك عنها لجف النبات والأشجار، وانقطعت الشمار، فخررت الديار، وهو عزّ وجلّ مريض عمارتها، فجسراً إيمان الغنى ضعيفة المنبت وخال عما هو مشحون به منبت شجرة إيمانك يا فقير، فقوتها وبقاوها بما ترى عنده من الدنيا وأنواع النعيم، فلو قطع ذلك عنه مع ضعف الشجرة جفت، فكان كفراً وجحوداً وإلحاداً بالمنافقين والمرتدین والكافر، اللهم إلا أن يبعث الله عزّ وجلّ إلى الغنى عساكر الصبر والرضا واليقين والتوفيق والعلم وأنواع المعارف فيقوى الإيمان بها فحينئذ لا يبالي بانقطاع الغنى والنعيم، والله الهادي الموفق.

المقالة السادسة والعشرون

في النهي عن كشف البرقع عن الوجه

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا تكشف البرقع والقناع عن وجهك حتى تخرج من الخلق وتوليهم ظهر قلبك في جميع الأحوال ويزول هواك، ثم تزول إرادتك ومناك، فسفني عن الأكوان دنيا وأخرى، فتصير إكاء منثم لا يبقى فيك غير إرادة ربك عَزَّ وجَلَّ فتمتنع به عَزَّ وجَلَّ وبحكمه، إذا خرج الزور دخل النور، فلا يكون لغير ربك في قلبك مكان ولا مدخل وجعلت بباب قلبك، وأعطيت سيف التوحيد والعظمة والجبروت، فكل منرأيته دنا من ساحة صدرك إلى باب قلبك ندرت رأسه من كاهله فلا يكون لنفسك وهواك وإرادتك ومناك في دنياك وأخراك عندك رأس امتشال ولا كلمة مسموعة، لا أرى متبع إلا إتباع أمر الرب عَزَّ وجَلَّ، والوقوف معه والرضا بقضاءه وقدره، بل الفناء في قضائه وقدره، فتكون عبد الرب عَزَّ وجَلَّ وأمره لا عبد الخلق وآرائهم، فإذا استمر الأمر فيك كذلك ضربت حول قلبك سرادقات الغيرة وخنادق العظمة وسلطان الجبروت، وحف بجنود الحقيقة والتوحيد، ويقام دون ذلك حراس من الحق عَزَّ وجَلَّ، كيلا يخلص الخلق إلى تطلب القلب من الشيطان والنفس والهوى، والإرادات والأمانى الباطلة، والدعوى الكاذبة الناشئة من الطباع والنفس الآمرة بالسوء، والضلالات الناشئة من الهوى، فحينئذ إن كان في القدر مجئ الخلق وتواترهم إليك و تتبعهم وتطابقهم عليك، ليصيروا من الأنوار الائحة والعلامات المنيرة والحكم البالغة، ويروا من الكرامات الظاهرة وخوارق العادة المستمرة، ويزدادوا بذلك من القربات والطاعات والمجاهدات والمكاييدات في عبادة ربهم عَزَّ وجَلَّ، حفظت عنهم أجمعين وعن ميل النفس إلى هواها، وعجبها ومباهاتها، وتعاظمتها بالتكبر بهم وبقولهم لك وإنزال وجههم إليك، وكذلك إن قدر مجئ زوجة حسناء جميلة بكماليتها وسائل مؤنتها حفظت من شرها وحمل أثقالها وأتبعها وأهلها، وصارت عندك موهبة مكافأة مهناة منقاًة مصفاة من الغش والخبث والغل والحقن والغضب والخيانة في الغيب، ف تكون لك مسخرة، وهي وأهلها محمولة عنك مؤنتها، مدفوعة عنك أذيتها، وإن قدر منها ولد كان صالحًا ذرية طيبة

قرة عين. قال الله تعالى : {وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ}. الأنبياء 90. وقال تعالى: {هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً}. الفرقان 74. وقال تعالى: {وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا}. مريم 6. فتكون هذه الدعوات التي في هذه الآيات معمولاً بها مستجابة في حملك إن دعوت بها أو لم تدع، إذ هي في محلها وأهلها، وأولى من يعامل بهذه النعمة ويقابل بها من كان أهلاً لهذه المنزلة، وأقيم في هذا المقام وقدر له من الفضل والقرب هذا المقدار، وكذلك إن قدر مجئ شيء من الدنيا وإنما لها لا يضر إذ ذاك، فما هو قسمك منها فلا بد من تناوله وتصفيته لك بفعل الله عزّ وجّلّ، وورود الأمر يتناوله وأنت ممثل للأمر مشاب على تناوله، كما ثاب على فعل صلوات الفرض وصيام الفرض، وتؤمر فيما ليس بقسمك منها بصرفه إلى أربابه من الأصحاب والجيران والإخوان المستحقين الفقراء منهم وأصحاب الأقسام على ما يقتضي الحال، فالآحوال تكشفها وتميزها، ليس الخبر كالمعاينة. فحينئذ تكون من أمرك على بيضاء نقية لا غبار عليها ولا تلبيس ولا تخلط ولا شك ولا ارتياخ، فالصبر الصبر، الرضا الرضا، حفظ الحال حفظ الحال، الخمول الخمول، الخمود الخمود، السكت السكت، الصموت الصموت، الحذر الحذر، النجا النجا، الoha الoha، الله الله ثم الله، الإطراف الإطراف الإغماظ الإغماظ الحياة الحياة إن يبلغ الكتاب أجله، فيؤخذ بيده فتقديم وينزع عنك ما عليك ثم تغوص في بحار الفضائل والمنن والرحمة ثم تخرج منها فتخليع عليك الأنوار والأسرار والعلوم والغرائب المدنية، ثم تقرب وتحدث فيه بإعلام وإلهام وتكلم وتعطى وتعنى وتشجع وترفع، وتحاطب به {إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَنَا مِكِينٌ أَمِينٌ}. يوسف 54. فحينئذ تعتبر حالة يوسف الصديق عليه السلام حين خطب بهذا الخطاب على لسان ملك مصر وعظيمها وفرعونها، كان لسان الملك قائلاً معبراً بهذا الخطاب والمخاطب هو الله عزّ وجّلّ على لسان المعرفة، سلم إليه المالك الظاهر وهو ملك مصر، وملك النفس وملك المعرفة والعلم والقرية والخصوصية وعلو المنزلة عنده عزّ وجّلّ. قال تعالى في ملك الملك : {وَكَذَلِكَ مَكَّنَاهُ لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ}. يوسف 56. أي في أرض مصر {يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}. يوسف 56. قال تعالى في ملك النفس: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}. يوسف 24. وقال تعالى في ملك المعرفة والعلم: {ذَلِكُمَا مِمَّا عَلِمْنَا رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةً قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ}. يوسف 37. فإذا خطب بهذا الخطاب يا أيها الصديق الأكبر، أعطيت الحظ الأوفر، من العلم الأعظم، ومنحت وهنيت بال توفيق والمنن والقدرة والولاية العامة، والأمر النافذ على النفس وغيرها من

الأشياء والتكوين، بإذن إله الأشياء في الدنيا قبل الآخرة. وأما في الأخرى في دار السلام والجنة العليا، فالنظر إلى وجه المولى الكريم زيادة ومنة، وهو المنى الذي لا غاية له ولا منتهى، والله الموفق لحقائق ذلك، إنه رؤوف رحيم.

المقالة السابعة والعشرون

في أن الخير و الشر ثمرتان

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أجعل الخير والشر ثمرتين من غصين من شجرة واحدة، أحد الغصين يثمر حلواً والآخر مرأً، فاترك البلاد والأقاليم ونواحي الأرض التي يحمل إليها هذه الشمار المأخوذة من هذه الشجرة، وابعد منها ومن أهلها واقرب من الشجرة وكن سائسها وخدمها القائم عندها، وأعرف الغصين والثمرتين والجانبين، فكن إلى جانب الغصن المثمر حلواً، فحينئذ يكون غذاؤك وقوتك منها، واجتنب أن تقدم إلى جانب الغصن الآخر فتأكل من ثمرته فتهلك من مراتتها، فإذا دمت على هذا كنت في دعة وأمن وراحة وسلامة من الآفات كلها، إذ الآفات وأنواع البلايا تتولد من تلك الشمرة المرة، وإذا غبت عن تلك الشجرة وهمت في الآفاق وقدم بين يديك من تلك الثمرتين وهي مخلطة غير متميزة الحلوة من المرة هنا فتناولت منها، فربما وقعت يدك على المرة فأدنتها من فيك فأكلت منها جزءاً ومضغته، فسرت المرة إلى أعماق لهواتك وباطن حلفك وخياشيمك، فعملت فيك وسرت في عروقك وأجزاء جسدك فهلكت بها، ولفظك الباقى من فيك وغسل أثره لا ينفع لا ويدفع عنك ما قد سرى في جسدك ولا ينفعك، وإن أكلت ابتداء من الشمرة الحلوة وسرت حلاوتها في أجزاء جسدك وانتفعت بها وسرت فلا يكفيك ذلك، فلا بد تناول غيرها ثانياً، فلا تأمن أن تكون الثانية من المرة فيحل بك ما ذكرته لك، فلا خير في البعد عن الشجرة والجهل بثمرتها والسلامة في قربها

والقيام معها، فالخير والشر بفعل الله عز وجل، والله هو فاعلهمما ومجريهما. قال الله عز وجل : {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}. الصافات 96. وقال النبي صلي الله عليه وسلم : (الله خلق الجازر وجزوره) وأعمال العباد خلق الله عز وجل وكسبهم. قال تعالى : {إِذْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}. النحل 32. سبحانه ما أكرمه وأرحمه أضاف العمل إليهم وأنهم استحقوا الدخول إلى الجنة بعملهم، وهو بتوفيقه ورحمته لهم في الدنيا والآخرة.

قال صلي الله عليه وسلم : (لا يدخل الجنة أحد بعمله، فقيل له ولا أنت يا رسول الله؟ فقال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته، ووضع يده على رأسه) مروي ذلك في حديث عائشة رضي الله عنها، فإذا كنت طائعاً لله عز وجل ممثلاً لأمره منتهياً لنعيه مسلماً له في قدره، حماك عن شره وتفضل عليك بخيه وحماك عن الأسواء جميعها ديننا ودنيا. أما دينا فقوله تعالى: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}. يوسف 24. وأما دينا فقوله عز وجل : {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلَيْمًا}. النساء 147. مؤمن شاكر ما يفعل البلاء عنده وهو إلى العافية أقرب من البلاء، لأنه في حمل المزيد أيضاً لأنه شاكر. قال الله عز وجل : {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}. إبراهيم 7. فإيمانك يطفئ لهب النار في الآخرة التي هي عقوبة كل عاص، فكيف لا يطفئ نار البلايا في الدنيا؟ اللهم إلا أن يكون العبد من المجدوبين المختارين للولاية والاصطفاء والاجتباء، فلا بد من البلاء ليصفى به من خبث الهوى والميل إلى الطبع، والرکون إلى شهوات النفس ولذاتها، والطمأنينة إلى الخلق والرضا بقربهم، والسكنون إليهم والثبوت معهم والفرح بهم، فيبتلى حتى يذوب جميع ذلك، ويتنظر القلب بخروج الكل، ويبقى توحيد رب عز وجل ومعرفته وموارد الغيب من أنواع الأسرار والعلوم وأنوار القرب، لأنه بيت لا يسعه اثنان، قال الله عز وجل : {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ}. الأحزاب 4. وقال تعالى: {إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْزَزَةَ أَهْلَهَا أَذِلَّةً}. النمل 34. فأخرجوا الأعزة عن طيب المنازل ونعم العيش، وكانت الولاية على القلب للشيطان والهوى والنفس والجوارح متحركة بأمرهم من أنواع المعاشي والأباطيل والترهات فزالت تلك الولاية فسكتت الجوارح وفرغت دار الملك التي هي القلب وتنفست الساحة التي هي الصدر. فأما القلب فصار مسكناً للتوحيد والمعرفة والعلم. وأما الساحة فمهبط الموارد والعجائب من الغيب، كل ذلك نتيجة البلايا وثمراتها، قال النبي صلي الله عليه وسلم : (إنما

معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل) وقال صلى الله عليه وسلم : (أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه خوفاً) فكل من قرب من الملك اشتد خطره وحذره، لأنه في مرأى من الملك لا يخفى عليه تصرفاته وحركاته. فإن قلت: فالخلية عند الله عزوجل بأجمعهم كشخص واحد لا يخفى عليه منهم شيء، فأي فائدة لهذا الكلام؟

فنقول لك : لما علت منزلته وشرفت رتبته عظم خطره، لأنه وجب عليه شكر ما أولاه من جسيم نعمه وفضله فأدنى الآلتفات عن خدمته تقصير في شكره وذلك نقصان في طاعته. قال الله عزوجل : {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعِفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ}. الأحزاب 30. قال ذلك لهن لتمام نعمه عزوجل عليهم باتصالهن بالنبي صلى الله عليه وسلم فكيف من كان مواصلاً بالله عزوجل وقربه، تعالى الله علوأ كبيراً عن التشبيه بخلقه {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}. الشورى 11. والله الهادي.

المقالة الثامنة والعشرون

في تفصيل أحوال المريد

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أتريد الراحة والسرور والدعة والجبور ، والأمن والسكون والنعيم والدلال وأنت بعد في كير السبك والتذويب وتمويت النفس ومجانبة الهوى وإزالة المرادات والأعواض دنيا وأخرى وقد بقيت فيك بقية من ذلك ظاهرة لائحة؟؟ على رسلك يا مستعجل مهلاً مهلاً، يا متربق الباب مسدود إلى ذلك، وقد بقيت عليك منه وفيك ذرة ومنه المكاتب عبد ما بقى عليه درهم، أنت مسدود عن ذلك ما بقى عليك من الدنيا مقدار مص نواة، والدنيا هواك ومرادك، ورؤيتك بشئ من الأشياء أو طلبك بشئ من الأشياء وتشوق نفسك إلى شئ من الأعواض دنيا وأخرى، فما دام فيك شيء من ذلك فأنت في باب الإفقاء، فاسكن حتى يحصل الفناء على التمام والكمال، فتخرج من الكير وتكمل صياغتك وتجلّى وتكتسى وتطيب وتبحر، ثم ترفع إلى الملك الأكبير فتخاطب : {إِنَّكَ الْيَوْمَ لِدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ} . يوسف 54. فتؤانس وتلطف، وتطعم من الفضل ومنه وتسقى وتقرب وتدنى وتطلع على الأسرار وهي عنك لا تخفي فتغتنى بما نعطي من ذلك عن جميع الأشياء. ألا ترى إلى قراصة الذهب متفرقة مبتذلة متداولة غادية رائحة في أيدي العطارين والبقالين والقصابين والدباغين والنقاطين والكناسين والكاففين

أصحاب الصنائع النفيسة والرذيلة الدنيوية الخبيثة، ثم تجمع فتجعل في كير الصائغ فتدوب هناك بإشعال النار عليها، ثم تخرج منه فتطرق وترقق وتطلع وتصاك فتجعل حلياً، ثم تجلب وتطيب فتترك في خير الموضع والأمكنة من وراء الأغلاق في الخزائن والصناديق والأحقاق وتحلى بها العروس وتزين وتكرم، وقد تكون العروس للملك الأعظم فتسقط القرابة من هذه إلى قرب الملك ومجلسه بعد السبك والدق، هكذا أنت يا مؤمن إذا صبرت على مجاري الأقدار فيك ورضيت بالقضاء في جميع الأحوال قربت إلى مولاك عز وجل في الدنيا، فتنعم بالمعرفة والعلوم والأسرار، وتسكن في الآخرة دار السلام مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين في جوار الله وداره وقربه عز وجل، فاصبر ولا تستعجل، وأرض بالقضاء ولا تنهى، فسينالك برد عفو الله ولطفه وكرمه بمنه تعالى.

المقالة التاسعة والعشرون

في قوله صلى الله عليه وسلم كاد الفقر أن يكون كفرا

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : يؤمن العبد بالله ويسلم الأمور كلها إليه عز وجل، ويعتقد تسهيل الرزق منه وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصبه، ويؤمن بقوله عز وجل {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَحْرَجاً * وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}.¹ الطلاق 2-3. ويقول ذلك ويؤمن به وهو في حال العافية والغنى ثم يبتليه الله عز وجل بالبلاء والفقير فيأخذ في السؤال والتضرع فلا يكشفهما عنه فحينئذ يتحقق قوله صلى الله عليه وسلم : (كاد الفقر أن يكون كفرا) فمن تلطف الله به كشف عنه ما به فأدركه بالعافية والغنى ويوفقه للشكر والحمد الثناء ويديم له ذلك إلى اللقاء . ومن يرد الله فتنته يديم بلاءه وفتنته وفقره فيقطع عنه مدد إيمانه فيكفر بالاعتراض والتهمة له عز وجل والشك في وعده فيما وصفه بالله عز وجل جاحداً لآياته ومسخطاً على ربه، وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : (أن أشد الناس عذابا يوم القيمة رجل جمع الله له بين فقر الدنيا وعذاب الآخرة) نعوذ بالله من

ذلك وهو الفقر المنسي الذي استعاد منه النبي صلى الله عليه وسلم * والرجل الثاني هو الذي أراد الله عزّ وجلّ اصطفاءه واجتباه وجعله من خواصه وأحبابه وأخلائه ووارث أنبيائه وسيد أوليائه ومن عظماء عباده وعلمائهم وحكمةهم وشفاعتهم وشيخهم ومتابعهم ومعلمهم وهاديهم إلى مولاهم ومرشدتهم إلى سبل الهدى واجتناب سبل الردى فأرسل إليه جبال الصبر وبحار الرضا والمwoffقة والغنى في قضايه وفعله ثم يدركه بجزيل العطاء ويدللله في آناء الليل وأطراف النهار في الجلوة والخلوة في الظاهر مرة والباطن أخرى بأنواع اللطف وفنون الجذبات فيتصل له ذلك إلى حين اللقاء والله الهايدي.

المقالة الثالثون

في النهي عن قول الرجل أي شيء أعمل و ما الحيلة

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : ما أكثر ما نقول : أي شئ أعمل؟ وما الحيلة؟؟؟ فيقال لك : قف مكانك ولا تجاوز حدك حتى يأتيك الفرج من أمرك بالقيام فيما أنت فيه. قال الله عزّ وجلّ : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}. آل عمران 200. أمرك بالصبر يا مؤمن ثم بالمصابرة والمرابطة والمحافظة والملازمة له ثم حذرتك تركه فقال : {واتقوا الله} في ترك ذلك، أي لا تتركوا الصبر فإن الخير والسلامة فيه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد). وقيل : كل شئ ثوابه بمقدار إلا ثواب الصبر فإنه جزاف غير مقدر لقوله تعالى : {إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}. الزمر 10. فإذا اتقيت الله عزّ وجلّ حفظك للصبر ومحافظة الحدود وأنجز لك ما وعدك في كتابه وهو قوله عزّ وجلّ : {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}. الطلاق 2-3. وكانت بصبرك حتى يأتيك الفرج من المتكلمين وقد وعدك الله عزّ وجلّ بالكافية فقال : {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ

عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}. الطلاق 3. وكنت مع صبرك وتوكلك من المحسنين وقد وعدك بالجزاء فقال عزَّ وجَّلَ : {وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}. القصص 14. ويحبك الله مع ذلك لأنَّه قال : {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}. البقرة 195. فالصبر رأس كل خير وسلامة دنيا وأخرى، ومنه يترقى المؤمن إلى حالة الرضى والموافقة ثم الفناء في أفعال الله عزَّ وجَّلَ حالة البدلية والغيبة، فاحذر أن تتركه فيخذلك في الدنيا والآخرة ويفوتوك خيرهما نعوذ بالله من ذلك.

المقالة الحادية والثلاثون

في البغض في الله

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا وجدت في قلبك بغض شخص أو حبه فأعرض أعماله على الكتاب والسنة، فإن كانت فيهما مبغوضة و أنت تبغضه فأبشر بموافقتك الله عزَّ وجَّلَ رسوله، وإن كانت أعماله فيهما محبوبة و أنت تبغضه فاعلم بأنك صاحب هوى، تبغضه بهواك ظالماً له ببغضك إياه، وعاصر الله عزَّ وجَّلَ ولرسوله تخالف لهما فتب إلى الله عزَّ وجَّلَ من بغضك واسأله عزَّ وجَّلَ محبة ذلك الشخص وغيره من أحبائه وأوليائه وأصفيائه والصالحين من عباده، لتكون موافقاً له عزَّ وجَّلَ. وكذلك أفعل فيمن تحبه يعني أعرض أعماله على الكتاب والسنة فإن كانت محبوبة فيهما فأحبه. وإن كانت مبغوضة فبغضه. كيلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك وقد أمرت بمخالفة هواك قال عزَّ وجَّلَ : {وَلَا تَتَبَعِ الْهَوَى فَيُضِلُّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ}. ص 26.

المقالة الثانية والثلاثون

في عدم المشاركة في محبة الحق

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : ما أكثر ما تقول كل من أحبه لا تدوم محبتي إياه في حال بيننا إما بالغيبة أو بالموت أو بالعداوة وأنواع المال بالتلف والفوات من اليد، فيقال لك : أما تعلم يا محبوب الحق المعنى المنظور إليه المغار عليه، ألم تعلم أن الله عز وجل غيور خلقك وتروم أن تكون لغيره، أما سمعت قوله عز وجل : {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}. المائدة 54. قوله تعالى : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}. الذاريات 56. أما سمعت قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإن صبر افتتاحه. قيل يا رسول الله و ما افتتاحه. قال لم يذر له مالا ولا ولدا). وذلك لأنه إذا كان له مال و ولد أحبهما فتنقص وتجزي فتصير مشتركة بين الله عز وجل وبين غيره والله تعالى لا يقبل الشريك وهو غيور قاهر فوق كل شئ غالباً لكل شئ فيهلك شريكه ويعدهم ليخلص قلب عبده له من غير شريك فيتتحقق حينئذ قوله عز وجل : {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}. المائدة 54. حتى إذا تنظف القلب من الشركاء والأنداد من الأهل والمال والولد واللذات والشهوات وطلب الولايات والرياسات والكرامات والحالات والمنازل والمقامات والجفات والدرجات والقربات والزلفات فلا يبقى في القلب إرادة ولا أمنية يصير كالإناء المنتشم الذي لا يثبت فيه مائع لأنه أنكسر لفعل الله عز وجل كلما تجمعت فيه إرادة كسرها فعل الله وغيرته فضررت حوله سرادقات العظمة والجبروت والهيبة وأحضرت من دونها خنادق الكرباء والسطوة فلم يخلص إلى القلب إرادة شئ من الأشياء والكرامات والحكم والعلم والعبادات فإن

جميع ذلك يكون خارج القلب فلا يغافر الله عز وجل بل يكون جميع ذلك كرامة من الله لعده ولطفا به ونعمه ورزقا ومنفعة للواردين عليه فيكرمون به ويرحمون ويحفظون لكرامته على الله عز وجل فيكون خفيرا لهم وكنفا وحرزا وشفيعا دنيا وأخرى.

المقالة الثالثة والثلاثون

في تقسيم الرجال إلى أربعة أقسام

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : الناس أربعة رجال :

رجل : لا لسان له ولا قلب وهو العاصي الغر الغبي لا يعبأ الله به، لا خير فيه، وهو وأمثاله حشالة لا وزن لهم إلا أن يعمهم الله عز وجل برحمته، فيهدي قلوبهم للإيمان به ويحرك جوارحهم بالطاعة له عز وجل. فأحذر أن تكون منهم، ولا تكترث بهم ولا تقم فيهم فإنهم أهل العذاب والغضب والسطح سكان النار وأهلها نعوذ بالله عز وجل منهم، إلا أن تكون من العلماء بالله عز وجل ومن معلمي الخير وهداة الدين وقواده ودعاته، فدونك فأتهم وادعهم إلى طاعة الله عز وجل، وحذرهم معصيته، فتكتب عند الله حينئذ جهذا، فتعطى ثواب الرسل والأنبياء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (لأن يهدى الله بهداك رجلا خيرا لك مما طلعت عليه الشمس).

الرجل الثاني : رجل له لسان بلا قلب فينطق بالحكمة ولا يعمل بها، يدعو الناس إلى الله وهو يفر منه عز وجل، يستصبح عيب غيره ويذوم هو على مثله في نفسه، يظهر للناس تنسكا وبيارز الله عز وجل بالعظائم من المعااصي، إذا خلا كأنه ذئب عليه ثياب، وهو الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : (أخوف ما أخاف على أمتي من منافق علیم اللسان). وفي

حديث آخر : (أخو福 ما أخاف على أمتي من علماء السوء). نعوذ بالله من هذا، فابعد منه وهرول، لئلا يختطفك بلذيد لسانه فتحرقك نار معاصيه، ويقتلك نتن باطنه وقلبه.

والرجل الثالث : قلب بلا لسان، وهو مؤمن ستره الله عز وجل عن خلقه، وأسبل عليه كنفه، وبصره بعيوب نفسه، ونور قلبه، وعرفه غوايل مخالطة الناس وشوم الكلام والنطق، وتيقن أن السلامة في الصمت والانزواء والانفراد، وتسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من صمت نجا). وسمع قول بعض العلماء : العبادة عشرة أجزاء، تسعه منها في الصمت فهذا رجل ولد الله عز وجل، في ستر الله محفوظاً ذو سلامه وعقل واfer، جليس الرحمن منعم عليه، فالخير كل الخير عنده، فدونكه ومصاحبته ومخالطته وخدمته والت Hibb إلية بقضاء حوائج تسنج له ومرافق يرتفق بها، فيحبك الله ويصفيك، ويدخلك في زمرة أحبائه وعباده الصالحين ببركته إن شاء الله تعالى.

والرجل الرابع : المدعو في الملوك بالعظيم كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : (من تعلم ، وعلم ، وعمل ، دعي في الملوك عظيماً). وهو العالم بالله عز وجل وآياته، استودع الله عز وجل قلبه غرائب علمه، وأطلعه على أسرار طواها عن غيره، واصطفاه واجتباه وجذبه إليه ورقاه، وإلى باب قريبه هداه، وشرح صدره لقبول تلك الأسرار والعلوم، وجعله جهذا داعياً للعباد ونديراً لهم وحجة فيهم، هادياً مهدياً شافعاً مشفعاً صادقاً صديقاً، بدلاً لرسله وأنبيائه عليهم صلواته وسلامه وتحياته وبركاته. وهذه هي الغاية القصوى في بني آدم، لا منزلة فوق منزلته إلا النبوة، فعليك به وأحذر أن تخالفه وتنافره وتجانبه وتعادييه وتترك القبول منه والرجوع إلى نصيحته وقوله، فإن السلامة فيما يقول عنده، والهلاك والضلال عند غيره إلا من يوفقه الله عز وجل ويمده بالسداد والرحمة.

فقد قسمت لك الناس، فانظر لنفسك إن كنت ناظراً، واحترز لها إن كنت محترزاً لها شفيقاً عليها، هدانا الله وإياك لما يحبه ويرضاه.

المقالة الرابعة والثلاثون

في النهي عن السخط على الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : ما أعظم تسخنك على ربك و تهمتك له عز وجل، و اعتراضك عليه و انتسابك له عز وجل بالظلم، واستبطائك في الرزق والغنى وكشف الكروب والبلوى، أما تعلم أن لكل أجل كتاب، ولكل زيادة بليه وكربة غاية منتهي ونفاد، لا يتقدم ذلك ولا يتأخر، أوقات البلايا لا تقلب فتصير عوافي وقت المؤس لا ينقلب نعيمًا، وحالة الفقر لا تستحيل غنى.

أحسن الأدب وألزم الصمت والصبر والرضا والمموافقة لربك عز وجل، وتب عن تسخنك عليه وتهمتك له في فعله، فليس هناك استيفاء وانتقام من غير ذنب، ولا عرض على الطبع كما هو في حق العبيد بعضهم في بعض، هو عز وجل منفرد بالأزل وسبق الأشياء، خلقها وخلق مصالحها ومجاسدها وعلم ابتداءها وانتهاءها وانقضاءها، وهو عز وجل حكيم في فعله متقن في صنعه لا تناقض في فعله، لا يفعل عبثاً ولا يخلق باطلأ لعباً، ولا تجوز عليه النقصان ولا اللوم في أفعاله، فانتظر الفرج حتى إن عجزت عن موافقته وعن الرضا والغنى في فعله حتى يبلغ الكتاب أجله، فتسفر الحالة عن صدتها بمروor الزمان وانقضاء الآجال، كما ينقضي الشتاء فيسفر عن

الصيف، وينقضي الليل فيسفر عن النهار، فإذا طلبت نور ضوء النهار ونوره بين العشاءين لم تعطه، بل يزداد في ظلمة الليل حتى إذا بلغت الظلمة غايتها وطلع الفجر وجاء النهار بضوئه طلبت ذلك وأردته وسكت عنه وكرهته، فإن طلبت إعادة الليل حينئذ لم تجب دعوتك ولم تعطه لأنك طلبت الشيء في غير حينه ووقته فتبقي حسيراً منقطعاً متسخطاً خجلاً، فأرخ هذا كله وألزم المموافقة وحسن الظن بربك عز وجل والصبر الجميل، فما كان لك لا تسلبه، وما ليس لك لا تعطاه. لعمري إنك تدعوا وتبتهل إلى ربك عز وجل بالدعاء والتضرع وهما عبادة وطاعة امثلاً لأمره عز وجل في قوله تعالى : {إِذْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}. غافر ٦٠. قوله تعالى : {وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ}. النساء ٣٢. وغير ذلك من الآيات والأخبار، أنت تدعوا وهو يستجيب لك عند حينه وأجله إذا أراد وكان لك في ذلك مصلحة في دنياك وأخراك ويوفق في ذلك قضاءه وانتهاء أجله، لا تتهمه في تأخير الإجابة ولا تسام من دعائه، فإنك إن لم تربح لم تخسر، وإن لم يجبك عاجلاً أثابك آجلاً، فقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : (والعبد يرى في صحائفه حسنات يوم القيمة لا يعرفها فيقال له إنها بدل سؤالك في الدنيا الذي لم يقدر قضاوه فيها) أو كما ورد. ثم أقل أحوالك أنك تكون ذاكراً لربك عز وجل موحداً له حيث تسئل ولا تسأل أحداً غيره، ولا تترك حاجتك لغيره تعالى، فأنت بين الحالتين في زمانك كله ليلك ونهارك وصحتك وسلامك وبؤسك ونعمائك وشدةك ورخائك، وإنما أن تمسك عن السؤال، وترضى بالقضاء وتوافق وتسترسل لفعله عز وجل، كالميّت بين يدي الغاسل، والطفل الرضيع في يدي الظئر، والكرة بين يدي الفارس يقلبها بصولجانه، فيقلب القدر كيف يشاء، إن كان النعماء فمنك الشكر والثناء ومنه عز وجل المزيد في العطاء، كما قال تعالى : {لَئِن شَكَرْتُمْ لَا زِيَادَنَّ كُمْ}. إبراهيم ٧. وإن كان البأس فالصبر والمموافقة منك بتوفيقه والثبت والنصرة والصلة والرحمة منه عز وجل بفضله وكرمه، كما قال عز من قائل : {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}. البقرة ١٥٣. الأنفال ٤٦. بنصره وثبتته، وهو لعبد ناصر له على نفسه وهو وشيطانه. وقال تعالى : {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُبَيِّنُ أَقْدَامَكُمْ}. محمد ٧. إذا نصرت الله في مخالفته نفسك وهواك بتترك الاعتراض عليه والسطح بفعله فيك وكنت خصماً لله على نفسك سيافاً عليها كلما تحركت بکفرها وشركها حرزت رأسها بصبرك وموافقتك لربك والطمأنينة إلى فعله ووعده والرضا بهما كان عز وجل لك معينا. وأما الصلاة والرحمة، فقوله عز وجل : {وَبَشِّرُ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}. البقرة 155-157. والحالة الأخرى أنك تبتهل إلى ربك عز وجل بالدعاء والتضرع إعظاماً له وامثلاً لأمره، وفيه وضع الشيء في موضعه، لأنه نديك إلى سؤاله والرجوع إليه، وجعل ذلك مستراحةً ورسولاً منك إليه وموصلة ووسيلة لديه بشرط ترك التهمة والسطح عليه عند تأخير الإجابة إلى حينها، اعتبر ما بين الحالتين ولا تكن ممن تجاوز عن حديهما، فإنه ليس هناك حالة أخرى، فاحذر أن تكون من الظالمين المعتدلين فيهلكك عز وجل ولا يبالي كما أهلك من مضى من الأمم السالفة في الدنيا بشدید بالاته وفى الآخرة بأليم عذابه.

المقالة الخامسة والثلاثون

في الورع

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : عليك بالورع وإن فالهلاك في زيقك ملازم لك لا تنجو منه أبدا إلا أن يتغمدك الله تعالى برحمته، فقد ثبت في الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن ملاك الدين الورع، وهلاكه الطمع، وإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، كالرائع إلى جنب الزرع يوشك أن يمد فاه إليه لا يكاد أن يسلم الزرع منه) وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : كنا نترك سبعين باباً من المباح مخافة أن نقع في الجناح. وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : كنا نترك تسعة عشر الحلال مخافة أن نقع في الحرام، فعلوا ذلك تورعاً في مقاربة الحرام أخذنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : (لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فمن دخل حصن الملك فجاز الباب الأول ثم الثاني والثالث حتى قرب من سدته خير من وقف على الباب الأول الذي يلي البر، فإنه إن أغلق عنه غلق الباب الثالث لم يضره وهو من وراء بابين من أبواب القصر ومن دونه حراس الملك وجنده، وأما إذا كان على الباب الأول فأغلقوا عنه بقى في البر وحده فأخذته الذئاب والأعداء وكان من الهالكين، فهكذا من سلك العزيمة ولازمها. إن سلب عنه مدد التوفيق والرعاية وانقطعت عنه حصل في الرخص ولم يخرج عن الشرع. فإذا أدركته

المنية كان على العبادة والطاعة ويشهد له بخير العمل، ومن وقف على الرخص ولم يتقدم إلى العزيمة إن سلب عنه التوفيق فقطعت عنه أ middot;داده فغلب الهوى عليه وشهوات النفس، فتناول الحرام خرج من الشرع، فصار في زمرة الشياطين أعداء الله عز وجل الضالين عن سبل الهدى، فإن أدركته المنية قبل التوبة كان من الهاكين إلا أن يتغمده الله تعالى برحمته وفضله، فالخطر في القيام مع الرخص، والسلامة كل السلامة مع العزيمة، والله الهادي إلى سواء الطريق.

المقالة السادسة والثلاثون

في بيان الدنيا والآخرة وما ينبغي أن يعمل فيما

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : أجعل آخرتك رأس مالك ودنياك ربحه، وأصرف زمانك أولاً في تحصيل آخرتك. ثم إن فضل من زمانك شيء اصرفه في دنياك وفي طلب معاشك، ولا تجعل دنياك رأس مالك وآخرتك ربحه. ثم إن فضل من الزمان فضلة صرفتها في آخرتك تقتضي فيها الصلوات تسبيكة واحدة ساقطة الأركان، مختلفة الواجبات من غير رکوع وسجود وطمأنينة بين الأركان، أو يلحقك التعب والإعياء فتتام عن القضاء جملة، جيفة في الليل بطلاً في النهار تابعاً لنفسك وهواك وشيطانك، وبائعاً آخرتك بدنياك عند النفس ومطيتها، أمرت برکوبها وتهذيبها ورياضتها والسلوك بها في سبيل السلامة وهي طرق الآخرة وطاعة مولاها عز وجل فظلمتها بقويلك منها وسلمت زمامها إليها وتبعتها في شهواتها ولذاتها وموافقتها وشيطانها وهوها ففاتك خير الدنيا والآخرة وخسرتهما فدخلت القيمة أفلس الناس وأخسرهم ديناً ودنيا، وما وصلت بمتابعتها إلى أكثر من قسمك من دنياك، ولو سلكت بها طريق الآخرة وجعلتها رأس مالك ربحت الدنيا والآخرة ووصل إليك قسمك من الدنيا هنيئاً مرئياً وأنت مصنون مكرم، كما

قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا عَلَى نِيَةِ الْآخِرَةِ وَلَا يُعْطِي الْآخِرَةَ عَلَى نِيَةِ الدُّنْيَا) وكيف لا يكون كذلك ونية الآخرة هي طاعة الله لأن النية روح العبادات وذاتها.

وإِذَا أَطَعْتَ اللَّهَ بِزَهْدِكَ فِي الدُّنْيَا أَوْ طَلَبْكَ دَارُ الْآخِرَةِ كَمَا أَنْ خَواصَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ وَمَحْبَبَتِهِ، وَحَصَلَتْ لَكَ الْآخِرَةُ وَهِيَ الْجَنَّةُ وَجَوَارُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخَدْمَتِكَ الدُّنْيَا فِي أَيْتَكَ قَسْمَكَ الَّذِي قَدِرَ لَكَ مِنْهَا، إِذَا كُلَّ تَبَعَ لِخَالِقَهَا وَمَوْلَاهَا وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ اشْتَغَلْتَ بِالدُّنْيَا وَأَعْرَضْتَ عَنِ الْآخِرَةِ غَضْبُ الرَّبِّ عَلَيْكَ فَفَاتَتْكَ الْآخِرَةُ وَتَعَاصَتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ وَتَعَسَّرَتْ وَأَتَعْبَتْكَ فِي إِيصالِ قَسْمَكَ إِلَيْكَ لِغَضْبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ لِأَنَّهَا مَمْلُوكَتِهِ، تَهَيَّنَ مِنْ عَصَاهُ وَتَكَرُّمِهِ أَطَاعَهُ فَيَتَحَقَّقُ حِينَئِذٍ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ضُرْتَانٌ، إِنْ أَرْضَيْتَ إِحْدَاهُمَا أَسْخَطْتَ عَلَيْكَ الْأُخْرَى). قَالَ تَعَالَى : {مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ} . آل عمران 152. يعني به أبناء الآخرة، فانظر من أبناء أيهما أنت؟؟ ومن أي القبيلتين تحب أن تكون وأنت في الدنيا؟ ثم إذا صرت إلى الآخرة فالخلق فريقان فريق في طلب الدنيا وفريق في طلب الآخرة، وهم أيضاً يوم القيمة فريقان {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} . الشورى 7. فريق في الموقف قائم في طول الحساب {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً} . المعارج 4. مما تعدون كما قال تعالى، وفريق في ظل العرش كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم : (إِنَّكُمْ تَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظَلِّ الْعَرْشِ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : (وَيَنْظَرُونَ مَنَازِلَهُمْ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى إِذَا فَرَغُوا مِنْ حِسَابِ الْخَلْقِ دَخَلُوا الْجَنَّةَ، يَهْتَدُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ كَمَا يَهْتَدِي أَحَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا إِلَى مَنْزِلَهُ). فهل وصلوا إلى هذه إلا بتركهم الدنيا واحتغالهم بطلب الآخرة والمولى. وهل وقعوا أولئك في الحساب وأنواع الشدائِدِ والذلِّ إلا لاشغالهم بالدنيا ورغبتهم فيها وزهدهم في الآخرة وقلة المبالغة بأمرها ونسيان يوم القيمة وما سيصيرون إليه غالباً مما ذكر في الكتاب والسنة.

فانظر لنفسك نظر رحمة وشفقة، واختر لها خير القبيلتين وأفردها عن أقران السوء من شياطين الإنس والجن، وأجعل الكتاب والسنة أمامك وأنظر فيهما وأعمل بهما، ولا تغتر بالقال والقيل والهوس. قال الله تعالى : {وَمَا آتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ} . الحشر 7. ولا تخالفوه فستركوا العمل بما جاء به وتخترعوا لأنفسكم عملاً وعبادة كما قال

عَزٌّ وَجَلٌ فِي حَقِّ قَوْمٍ ضَلَّوْا سَوَاءَ السَّبِيلُ {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَأُوهُمَا مَا كَتَبْنَاهُمَا عَلَيْهِمْ}.الْحَدِيد٢٧.، ثُمَّ
إِنَّهُ زَكِيٌّ هُوَ عَزٌّ وَجَلٌ نَبِيٌّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَزَّهَهُ عَنِ الْبَاطِلِ وَالْزُّورِ فَقَالَ عَزٌّ وَجَلٌ : {وَمَا
يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْدَنِيْ يُوحَى} .النَّجْم٣-٤. أَيُّ مَا آتَكُمْ بِهِ فَهُوَ مِنْ عِنْدِي لَا مِنْ
هُوَاهُ وَنَفْسِهِ فَاتَّبَعُوهُ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ} .آل
عُمَر١٣. فَبَيْنَ أَنْ طَرَيقَ الْمَحْبَةِ إِتَابَاعُهُ قَوْلًا وَفَعْلًا، فَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ :
(الاكتسابُ سُنْتِي، وَالتَّوْكِلُ حَالَتِي) أَوْ كَمَا قَالَ، فَأَنْتَ بَيْنَ سُنْتِهِ وَحَالَتِهِ وَإِنْ ضَعْفٌ إِيمَانُكَ
فَالْتَّكَسُبُ الَّذِي هُوَ سُنْتِهِ وَإِنْ قُوَّى إِيمَانُكَ فَحَالَتِهِ التَّوْكِلُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : {وَعَلَى اللَّهِ
فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} .الْمَائِدَة٢٣. وَقَالَ تَعَالَى : {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ
حَسْبُهُ} .الْطَّلاق٣. وَقَالَ تَعَالَى : {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} .آل عُمَر١٥٩. فَقَدْ أَمْرَكَ بِالْتَّوْكِلِ
وَنَبْهَكَ عَلَيْهِ كَمَا أَمْرَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ : {وَتَوَكَّلْ عَلَى
الَّهِ} .النِّسَاء٨١.الْأَنْفَال٦١.الْأَحْزَاب٣+٤٨. فَاتَّبَعَ أَوْامِرَ اللَّهِ عَزٌّ وَجَلٌ فِي سُؤَالِهِ فِي أَعْمَالِكَ
فَهِيَ مَرْدُودَةٌ عَلَيْكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مِنْ عَمَلٍ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ) هَذَا
يَعْلَمُ طَلَبُ الرِّزْقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، لَيْسَ لَنَا نَبِيٌّ غَيْرُهُ فَتَتَّبِعُهُ وَلَا كِتَابٌ غَيْرُ الْقُرْآنِ فَنَعْمَلُ بِهِ،
فَيُضْلِلُكَ هُوَكَ وَالشَّيْطَانُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضْلِلَكَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ} .ص٢٦.
فَالسَّلَامَةُ مَعَ الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ، وَالْهَلاَكُ مَعَ غَيْرِهِمَا، وَبِهِمَا يَتَرَقَّى الْعَبْدُ إِلَى حَالَةِ الْوُلَايَةِ وَالْبَدْلِيَّةِ
وَالْغُوَثِيَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

المقالة السابعة والثلاثون

في ذم الحسد والأمر بتركه

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : مالي أراك يا مؤمن حاسداً لجارك في مطعمه ومشربه وملبسه و منكحه ومسكنه وتقلبه في غناه ونعم مولاه عز وجل وقسمه الذي قسم له ؟؟ أما تعلم أن هذا مما يضعف إيمانك ويسقطك من عين مولاك عز وجل ويفضلك إليه ؟؟ أما سمعت الحديث المروى على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (قال الله تعالى في بعض ما تكلم به: الحسود عدو نعمتي) وما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) ثم على أي شئ تحسد يا مسكين ؟؟ أعلى قسمه أم على قسمك ؟؟ فإن حسدته على قسمه الذي قسمه الله له في قوله تعالى : {نَحْنُ قَسَّمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } . الزخرف 32 . فقد ظلمته، رجل يتقلب في نعمة مولاه التي تفضل بها عليه وقدرها له ولم يجعل لأحد فيها حظاً ولا نصيباً، فمن يكون أظلم وأبخل وأرعن وأنقص عقلاً منك ؟؟ وإن حسدته على قسمك فقد جهلت غاية الجهل، فإن قسمك لا يعطي غيرك ولا ينتقل منك إليه، حاش لله.

قال الله عز وجل : {مَا يُبَدِّلُ الْقُولُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَيْدِ} . ق 29 . إن الله عز وجل لا يظلمك فإذاخذ ما قسم وقدر لك فيعطي غيرك، فهذا جهل منك وظلم لأخيك، ثم حسدك للأرض التي هي معدن الكنوز والذخائر من أنواع الذهب والفضة والجواهر مما جمعته الملوك المتقدمة من عاد وثمود وكسرى وقيصر أولى من حسدك لجارك المؤمن أو الفاجر، فإن ما في بيته لا يكون جزءاً من أجزاء ألف ألف جزء مما هناك، فما حسدك لجارك إلا كمثل رجل رأى ملكاً مع سلطانه وجنوده وحشمه وملكه وعلى أراضي واجباته خراجها وارتفاعها لديه وتنعمه بأنواع النعم والذات والشهوات فلم يحسده على ذلك ثم رأى كلباً برياً يخدم كلباً من كلاب ذلك الملك يقوم ويقعد

ويصبح فيعطي من مطبخ الملك بقایا الطعام ورداهته فيتقوت به فأخذ يحسده ويعاديه ويتمنى موته وهلاكه وكونه مكانه وأن يخلفه في ذلك خسدة ودناءة لا زهداً ودينماً وقناعة، فهل يكون في الزمان رجل أحمق منه وأرعن وأجهل؟

ثم لو علمت يا مسكين ما سيلقى جارك غداً من طول الحساب يوم القيمة إن لم يكن أطاع الله فيما حوله وأدى حقه فيها، وامتثال أمره وانتهاء نهيه فيها، واستعان بها على عبادته وطاعته ما يتمنى انه لم يعط من ذلك ذرة ولا رأى نعيمًا يوماً قط، أما سمعت ما قد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ليتمنن أقوام يوم القيمة أن تقرض لحومهم بالمقاريض مما يرون لأصحاب البلاء من الثواب) فيتمنى جارك غداً مكانك في الدنيا لما يرى من طول حسابه ومناقشته وقيامه خمسين ألف سنة في حر الشمس في القيمة، لأجل ما يمتنع به من النعيم في الدنيا وأنت في معزل عن ذلك في ظل العرش آكلًا شاربًا متنعماً فرحاً مسروراً مستريحاً، لصبرك على شدائد الدنيا وضيقها وآفاتها وبؤسها وفقرها، ورضاك وموافقتك لربك عزّ وجلّ فيما دبر وقضى من فدرك وغناء غيرك، وسلامك وعافية غيرك، وشدتك ورخاء غيرك، وذلك عزّ غيرك، جعلنا الله وإياك ممن صبر عند البلاء، وشكر على النعماء، وفوض الأمور إلى رب السماء.

المقالة الثامنة والثلاثون

في الصدق و النصيحة

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : من عامل مولاه بالصدق والنصح، استوحش مما سواه
في المساء والصبح.

يا قوم لا تدعوا ما ليس لكم، ووحدوا، ولا تشركوا، والله إن سهام القدر تصيبكم خدشاً لا
قتالاً، من كان في الله تلفه فعلى الله خلفه.

المقالة التاسعة والثلاثون

في تفسير الشقاق و الوفاق و النفاق

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : الأخذ مع وجود الهوى من غير الأمر عناد وشقاق،
الأخذ مع عدم الهوى وفاق واتفاق وتركه رباء ونفاق.

المقالة الأربعون

في متى يصح للسائل أن يكون في زمرة الروحانيين

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا تطمع أن تدخل في زمرة الروحانيين حتى تعادي جملتك، و تباين جميع الجوارح والأعضاء، و تنفرد عن وجودك وحركاتك وسكناتك وسمعك وبصرك وكلامك وبطشك وسعيك وعملك وعقلك، وجميع ما كان منك قبل وجود الروح فيك وما أوجد فيك بعد نفخ الروح، لأن جميع ذلك حجابك عن ربك عز وجل، فإذا صرت روحًا منفردة، سر السر، غيب الغيب، مباییناً لالأشياء في سرك، متخدًا للكل عدواً وحاجاباً وظلمة كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ}. الشعراة 77. قال ذلك للأصنام، فجعل أنت جملتك وأجزاءك أصناماً مع سائر الخلق، فلا تطع شيئاً من ذلك ولا تتبعه جملة، فحينئذ تؤمن على الأسرار والعلوم اللدنية وغرائبها، ويرد إليك التكوين وخرق العادات التي هي من قبيل القدرة التي تكون للمؤمنين في الجنة، فتكون في هذه الحالة كأنك أحبيت بعد الموت في الآخرة، فتكون كليتك قدرة، تسمع بالله، وتنطق بالله، وتبصر بالله، وتبطش بالله وتسعى بالله، وتقل بالله، وتطمئن وتسكن بالله، فتعتمى عن سواه وتصمم عنه فلا ترى لغيره وجوداً مع حفظ الحدود والأوامر والنواهي، فإن انحرم فيك شيء من الحدود فاعلم أنك مفتون متلاعبة بك الشياطين، وأرجع إلى حكم الشرع ودع عنك رأى الهوى، لأن كل حقيقة لم تشهد لها الشريعة فهي زندقة، والله أعلم.

المقالة الحادية والأربعون

مثل في الفناء وكيفيته

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : نضرب لك مثلاً في الفناء فنقول: ألا ترى أن الملك يولي رجلاً من العوام ولاية على بلدة من البلاد، ويخلع عليه ويعقد له ألوية ورایات، ويعطيه الكؤوس والطبل والجند فيكون على برهة من الزمان، حتى إذا اطمأن واعتقد بقاءه وثباته، وعجب به ونسى حالته الأولى ونقصانه وذله وفقره وخموله، وداخلته النخوة والكبرياء جاءه العزل من الملك في أشر ما كان من أمره، ثم طالبه الملك بجرائم صنعها وتعدى أمره ونهيه فيها، فحبسه في أضيق الحبوس وأشدتها، وطال حبسه ودام ضره له وذله وفقره، وذابت نخوته وكبرياؤه، وانكسرت نفسه وخدمت نار هواه، وكل ذلك في عين الملك ثم تعطف الملك عليه فنظره بعين الرأفة والرحمة، فأمر بإخراجه من الحبس والإحسان إليه، والخلعة عليه ورد الولاية إليه ومثلها معها وجعلها له موهبة، فدامت له وبقيت مصفاة مكافأة مهناة وكذلك المؤمن إذا قربه الله إليه واجتباه فتح قبالة عين قلبه بباب الرحمة والمنة والإنعم، فيرى بقلبه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، من مطالعة الغيوب من ملكوت السموات والأرض وتقريب وكلام لذيد لطيف ووعد جميل، ووفاء به، وإجابة دعاء وكلمات حكمة وتصديق وعد، فإنها ترمي إليه قلبه قذفاً من مكان بعيد فتظهر على لسانه، ومع ذلك يسبغ عليه نعمة ظاهرة على جسده وجوارحه، في المأكل والمشرب والملبس والمنكوح الحلال والمباح وحفظ الحدود والعبادات الظاهرة، فيديم الله عزّ وجلّ ذلك لعبد المؤمن المجدوب برهة من الزمان، حتى اطمأن العبد إلى ذلك واغتر به واعتقد دوامه ففتح عليه أبواب البلايا وأنواع المحن في النفس والمال والأهل

والولد والقلب فينقطع عنه جميع ما كان أنعم الله عليه من قبل، فيبقى متحيراً حسيراً منكسرًا مقطوعاً به.

إن نظر إلى ظاهره رأى ما يسوؤه، وإن نظر إلى قلبه وباطنه رأى ما يحزنه، وإن سأله تعالى كشف ما به من الضر لم يرجبه، وإن طلب وعداً جميلاً لم يجده سريعاً وإن وعد بشئ لم يعثر على الوفاء به، وإن رأى رؤيا لم يظفر بتعبيتها وتصديقها، وإن رام الرجوع إلى الخلق لم يجد إلى ذلك سبيلاً، وإن ظهرت له في ذلك رخصة فعمل بها تسارعت العقوبات نحوه وتسلطت أيدي الخلق على جسمه وأستههم على عرضه، وإن طلب الإقالة مما قد أدخل فيه من الحالة الأولى قبل الاجتباء لم يقل، وإن طلب الرضا أو الطيبة والتبعيم بما به من البلاء لم يعط فحينئذ يأخذ النفس في الذوبان والهوى في الزوال والإرادة والأمانى في الرحيل والأكون فى التلاشى، فيدام له ذلك بل يزداد تشديداً وعصرأً وتأكيداً، حتى إذا فني العبد من الألحاد الإنسانية والصفات البشرية وبقى روحأً فقط يسمع نداء في باطنه {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارْدٌ وَشَرَابٌ}. ص 42. كما قيل لسيدنا أيوب عليه السلام، فيمطر الله عز وجل في قلبه بحار رحمته ورأفته ولطفه ومنته، ويحييه بروحه ويطيبه بمعرفته ودقائق علومه، ويفتح عليه أبواب رحمته ونعمته ودلالة، وأطلق إليه الأيدي بالبذل والعطاء والخدمة في سائر الأحوال والألسن بالحمد والشاء، والذكر الطيب في جميع المحال، والأرجل بالترحال، وذلك له وسخر له الملوك والأرباب، وأسبغ عليه نعمة ظاهرة وباطنة، تربيته ظاهرة بخلقه ونعمه، ويستأثره تربيته باطنة بلطفه وكرمه، وأدام له ذلك إلى اللقاء، ثم يدخله فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما قال جل وعلا : {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرْةً أَعْيُنٍ جَرَاءٍ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}. السجدة 17.

المقالة الثانية والأربعون

في بيان حالي النفس

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : النفس لها حالتان لا ثالث لهما: حالة عافية، وحالة بلاء، فإذا كانت في بلاء فالجزع والشكوى والسطح والاعتراض والتهمة للحق جل وعلا لا صبر ولا رضى ولا موافقة، بل سوء الأدب والشرك بالحق والأسباب والكفر، وإذا كانت في عافية فالشره والبطر وإتباع الشهوات واللذات، كلما نالت شهوة طلبت أخرى، واستحقرت ما عندها من النعم من مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح ومسكون ومرکوب، فتخرج لكل واحدة من هذه النعم عيوياً ونقصاً، وتطلب أعلى منها وأسنى مما لم يقسم لها، وتعرض عما قسم لها، فتوقع الإنسان في تعب طويل، ولا ترضى بما في يديها وما قسم لها، فيرتكب الغمرات ويخوض المهالك في تعب طويل لا غاية له ولا منتهى في الدنيا، ثم في العقبى، كما قيل: إن من أشد العقوبات طلب ما لا يقسم. وإذا كانت في بلاء لا تمنى سوى انكشفها وتنسى كل نعيم وشهوة ولذة ولا تطلب شيئاً منها، فإذا عوقفت منها رجعت إلى رعونتها وشرها وبطرها وإعراضها عن طاعة ربها وانهماكها في معاصيه، وتنسى ما كانت فيه من أنواع البلاء والضر وما حل بها من الويل، فترد إلى أشد ما كانت عليه من أنواع البلاء والضر، لما اجترحت وركبت من العظام فطماً لها وكفأً عن المعاصي في المستقبل، إذ لا تصلح لها العافية والنعمة بل حفظها في البلاء والبؤس، فلو أحسنت الأدب عند انكشف البليه ولازمت الطاعة والشكرا والرضى بالمقسوم لكان خيراً لها دنيا وأخرى، وكانت تجد زيادة في النعيم والعافية والرضى من الله عز وجل والطيبة والتوفيق، فمن أراد السلامة في الدنيا والأخرى فعليه بالصبر والرضا، وترك الشكوى إلى الخلق

وإنزال حوائجه بربه عز وجل ولنروم طاعته وانتظار الفرج منه والانقطاع إليه عز وجل، إذ هو خير من غيره ومن جميع خلقه، حرمائه عطاء، عقوبته نعما، بلاؤه دواء، وعده نفذ، قوله فعل مشيئة حاله {إِنَّمَا} وقوله وأمره أمره {إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}. يس 82. كل أفعاله حسنة وحكمة ومصلحة، غير أنه طوى على المصالح من عباده وتفرد به، فالأولي واللائق بحاله والرضى والتسليم، واستغلاله بالعبودية من أداء الأوامر وانتهاء النواهي والتسليم في القدر، وترك الاستغال في الربوبية التي هي علة الأقدار ومحاربتها، والسكوت عن لم وكيف ومتى؟ والتهمة للحق عز وجل في جميع حركاته وسكناته، و تستند هذه الجملة إلى حديث بن عباس رضي الله عنهما، وهو ما روى عن عطاء بن عباس رضي الله عنهما قال: بينما أنا رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال لي : يا غلام "احفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده أمامك، فإذا سالت فاسأل الله، وإذا استعن فاستعن بالله، جف القلم بما هو كائن" فلو جهد العباد أن يضروك بشيء لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه فإن استطعت أن تعامل الناس بالصدق واليقين فاعمل، وإن لم تستطع فإن الصبر على ما تكره خيراً كثيراً. وأعلم أن النصرة بالصبر والفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً، فينبغي لكل مؤمن أن يجعل هذا الحديث مرآة لقلبه وشعاره ودثاره وحديشه، فيعمل به في جميع حركاته وسكناته حتى يسلم في الدنيا والآخرة ويجد العزة فيهما، برحمة الله عز وجل.

المقالة الثالثة والأربعون

في ذم السؤال من غير الله تعالى

قال قدس الله سره : ما سأله الناس من سأله إلا لجهله بالله عز وجل وضعف إيمانه ومعرفته وقيمه وقلة صبره، وما تعفف عن ذلك إلا لوفور علمه بالله عز وجل وقوته إيمانه وقيمه وتزايد معرفته بربه عز وجل في كل يوم ولحظة وحياته منه عز وجل.

المقالة الرابعة والأربعون

في سبب عدم استجابة دعاء العارف بالله تعالى

قال قدس الله سره : إنما لم يستجب للعارف كلما يسأل ربه عز وجل ويوفى له بكل وعد لئلا يغلب عليه الرجاء فيهلك ، لأن ما من حالة ومقام إلا ولذاك خوف ورجاء هما جناحي طائر لا يتم الإيمان إلا بهما وكذلك الحال والمقام ، غير أن خوف كل حالة ورجاءها بما يليق بها ، فالعارف مقرب وحالته ومقامه أن لا يريد شيئاً سوى مولاه عز وجل ولا يرکن ولا يطمئن إلى غيره عز وجل ، ولا يستأنس بغيره ، فطلبه لإجابة سؤاله والوفاء بعهده غير ما هو بصدده ولا تلق بحاله ففي ذلك أمران اثنان : أحدهما لئلا يغلب عليه الرجاء والغرة بمكر ربه عز وجل فيغفل عن القيام بالأدب فيهلك ، والآخر شركه بربه عز وجل يشئ سواه ، إذ لا معصوم في العالم في الظاهر بعد الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، فلا يجيئه ولا يوفى له كيلا ، يسأل عادة ويريد طبعاً لا امتناع للأمر ، لما في ذلك من الشرك والشرك كبيرة في الأحوال كلها والأقدام جميعها والمقامات بأسراها .

وأما إذا كان السؤال بأمر فذلك مما يزيده قريباً كالصلاحة والصيام وغيرهما من الفرائض والنواقل ، لأنه يكون في ذلك ممثلاً للأمر .

المقالة الخامسة والأربعون

في النعمة والابتلاء

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : إن الناس رجالان: منعم عليه، ومبتلٍ بما قضى ربه عز وجل ، فالمنعم لا يخلو من المعصية والتکدر فيما أنعم عليه، فهو في أنعم ما يكون من ذلك إذ جاء القدر بما يکدره عليه من أنواع البلایا من الأمراض والأوجاع والمصائب في النفس والمال والأهل والأولاد فيتعظ بذلك، فكأنه لم ينعم عليه قط ويسى ذلك النعيم وحلاوته وإن كان الغنى قائماً بالمال والجاه والعبيد والإماء والأمن من الأعداء فهو في حال النعماء كأن لا بلاء في الوجود، كل ذلك لجهله بمولاه عز وجل {فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ}. هود 107. البروج 16. يبدل، ويحلى ويمر، ويغنى ويفقر، ويرفع ويختضن، ويعز ويذل ويحيى ويميت، ويقدم ويؤخر. لما اطمأن إلى ما به من النعيم، ولما اغتر به، ولما أيس من الفرج في حالة البلاء، وبجهله أيضاً بالدنيا اطمأن إليها وطلب بها صفاء لا يشوبه کدر، ونسى إنها دار بلاء وتنغيص، وتكليف وتکدير وأن أصلها بلاء وطارفها نعماء فهي كشجرة الصبر أول ثمرتها مر وآخرها شهد حلو، لا يصل المرء إلى حلاوتها حتى يتجرع مراتها، فلن يبلغ إلى الشهد إلا بالصبر على المر، فمن صبر على بلائها حلى له نعيمها، إنما يعطى الأجير أجره بعد عروق جبينه وتعب جسده وكرب روحه وضيق صدره وذهاب قوته وإذلال نفسه وكسر هواه في خدمة مخلوق مثله، فلما تجرع هذه المرائر كلها أعقبت له طيب طعام وإدام وفاكهه ولباس وراحة وسرور ولو أقل قليل، فالدنيا أولها مرة كالصحفة العليا من عسل في ظرف مشوية بمرارة، فلا يصل الآكل إلى قرار الظرف ويتناول الحالص منه إلا بعد تناول الصحفة العليا، فإذا صبر العبد على أداء أوامر رب عز وجل وانتهاء نواهيه والتسليم والتفويض فيما يجري به القدر، وتجرع مرائر ذلك كله وتحمل أثقاله، وخالف هواه وترك مراده. أعقبه الله عز وجل بذلك طيب العيش في آخر عمره والدلال والراحة والعزّة، ويتولاه وينفعه كما

يغذى الطفل الرضيع من غير تكلف منه وتحمل مؤنة وتبعة في الدنيا والأخرى كما يتلذذ آكل المر من الصحفة العليا من العسل يأكله من قرار الظرف، فينبغي للعبد المنعم عليه أن لا يأمن مكر الله عز وجل فيفتر بالنعمة ويقطع بدوامها، ويغفل عن شكرها ويرخي قيدها بتركه لشكرها. قال النبي صلى الله عليه وسلم : (النعمة وحشية فقيدوها بالشكرا) فشكر نعمة المال الاعتراف بها للمنعم المتفضل وهو الله عز وجل والتحدى بها لنفسه فيسائر الأحوال ورؤيه فضله ومنته عز وجل وأن لا يمتلك عليه ولا يتجاوز حده فيه، ولا يترك أمره فيه، ثم بأداء حقوقه من الزكاة والكفاره والنذر والصدقة، وإغاثة الملهوف، وافتقاد أرباب الحاجات وأهلها في الشدائـد عند تقلب الأحوال وتبدل الحسنـات بالسيئـات، أعني ساعات النعيم والرخاء بالآباء والضراء. وشكر نعمة العافية في الجوارح والأعضاء في الاستعاـنة بها على الطاعـات والكف عن المحارـم والسيئـات والمعاصـي والآثـام فذلك قـيد النـعم عن الرـحلة والـذهب، وسقـى شـجرتها وتنـمية أغـصانـها وأوراقـها، وتحـسين ثـمرتها، وحـلاوة طـعمـها وسلامـة عـاقـبتـها، ولـذـة مـضـغـها، وسـهـولة بـلـها، وتعـقـبـ عـافـيتها ورـيعـتها في الجـسدـ، ثم ظـهـورـ برـكـتها على الجـوارـحـ من أنـواعـ الطـاعـاتـ والـقـربـاتـ والأـذـكارـ، ثم دـخـولـ العـبـدـ بـعـدـ ذـلـكـ في الآـخـرـةـ في رـحـمـةـ اللهـ عـزـ وـجـلـ. والـخـلـودـ فيـ الجـنـانـ معـ النـبـيـينـ والـصـدـيقـينـ والـشـهـداءـ والـصالـحـينـ وـحـسـنـ أولـئـكـ رـفـيقـاًـ إـنـ لمـ يـفـعـلـ ذـلـكـ وـاغـتـرـ بماـ ظـهـرـ منـ زـيـنةـ الدـنـيـاـ وبـمـاـ ذـاقـ منـ لـذـتهاـ، وـاطـمـأـنـ إـلـىـ بـرـيقـ سـرـابـهاـ وـمـاـ لـاحـ منـ بـرـيقـهاـ وـمـاـ هـبـ منـ نـسـيمـ أولـ نـهـارـ قـيـظـهاـ، وـنـعـومـةـ جـلـودـ حـيـاتـهاـ وـعـقـارـبـهاـ، وـغـفـلـ وـعـمـىـ عنـ سـمـومـهاـ القـاتـلـةـ المـوـدـعـةـ فيـ أـعـماـقـهاـ، وـمـكـامـنـهاـ وـمـصـايـدـهاـ الـمـنـصـوبـةـ لـأـخـذـهـ وـحـبـسـهـ وـهـلـاـكـهـ، فـلـيـهـنـاـ لـلـرـدـىـ وـلـيـسـتـبـشـ بـالـعـطـفـ وـالـفـقـرـ الـعـاجـلـ، معـ الذـلـ وـالـهـوـانـ فيـ الدـنـيـاـ وـالـعـذـابـ الـأـجـلـ فيـ النـارـ وـلـظـيـ.

وأما المبتلى. فتارة يبتلى عقوبة ومقابلة لجريمة ارتكبها ومعصية اقترفها وأخرى يبتلى تكفيراً وتحميصاً، وأخرى يبتلى لارتفاع الدرجات وتبلیغ المنازل العالیات ليتحقق بأولی العالم من أهل الحالات والمقامات، مما سبقت لهم عنایة من رب الخلیقة والبریات، وسيرهم مولاهم میادین البليات على مطایا الرفق والألطاف، وروحهم بنسیم النظرات واللحظات في الحركات والسكنات، إذ لم يكن ابتلائهم للإھلاک والإھواء في الدرکات، ولكن اخبرهم بها للاصطفاء والاجتباء واستخراج بها منهم حقيقة الإیمان وصفاتها وميزها من الشرک والدعاوی والنفاق، ونحلهم بها أنواع العلوم والأسرار والأنوار، فجعلهم من اخلص الخواص، ائمنهم على

أسراره، وارتضاهم لمجالسته. قال النبي صلى الله عليه وسلم : (الفقراء الصبر جلسات الرحمن يوم القيمة) دنيا وأخرى، في الدنيا بقلوبهم وفي الآخرة بأجسادهم، فكانت البلايا مطهرة لقلوبهم من دون الشرك، والتعلق بالخلق والأسباب والأمني والإرادات، وذوبابة لها وسباكه من الدعوى والهوسات، وطلب الأعواض بالطاعات من الدرجات والمنازل العاليات في الآخرة في الفردوس والجنت.

فعالمة الابتلاء على وجه المقابلة والعقوبات، عدم الصبر عن وجودها والجزع والشكوى إلى الخلقة والبريات.

وعالمة الابتلاء تكفيراً وتمحیضاً للخطیات وجود الصبر الجميل من غير شکوی وإظهار الجزء إلى الأصدقاء والجيран والتضجر باداء الأوامر والطاعات.

وعالمة الابتلاء ارتفاع وجود الرضا والموافق، وطمأنينة النفس والسكنون بفعل إله الأرض والسموات، والفناء فيها إلى حين الانكشاف بمرور الأيام وال ساعات.

المقالة السادسة والأربعون

في قوله عز وجل في الحديث القدسي
(من شغله ذكرى...) إلى آخره

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : في قوله النبي صلى الله عليه وسلم عن ربى عز وجل : (من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) وذلك أن المؤمن إذا أراد الله عز وجل اصطفاءه واجتباه، سلك به الأحوال وامتحنه بأنواع المحن والبلايا فيفقره بعد الغنى

ويضطه إلى مسألة الخلق في الرزق عند سد جهاته عليه، ثم يصونه عن مسأله ويفضله إلى الكسب ويسهله ويسهله له فأكل بالكسب الذي هو السنة، ثم يعسره عليه ويلهمه السؤال للخلق، ويأمره به بأمر باطن يعلمه ويعرفه يجعل عبادته فيه ومعصيته في تركه، ليزول بذلك هواه وتنكسي نفسه وهي حالة الرياضة فيكون سؤاله على وجه الإجبار لا على وجه الشرك بالجبار، ثم يصونه عن ذلك ويأمره بالفرض منهم أمراً جزماً لا يمكنه تركه كالسؤال من قبل ثم ينقله من ذلك ويقطعه عن الخلق ومعاملتهم، فيجعل رزقه في السؤال له عز وجل فيسأله جميع ما يحتاج إليه فيعطيه عز وجل ولا يقطعه إن سكت وأعرض عن السؤال، ثم ينقله من السؤال باللسان إلى السؤال القلب فيسأله بقلبه جميع ما يحتاج فيعطيه حتى أنه لو سأله جملة ظاهراً وباطناً، فيناديه بجميع ما يصلحه ويقوم به أوده من المأكل والمشرب والملابس وجميع مصالح البشر من غير أن يكون هو فيها أو تخطر بيده. فيتولاه عز وجل وهو قوله عز وجل {إِنَّ وَلِيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّ الصَّالِحِينَ}. الأعراف 196. فيتتحقق حينئذ قوله عز وجل (من شغله ذكرى عن مسألي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين) وهي حالة الفناء التي هي غاية أحوال الأولياء والأبدال ثم قد يرد إلى التكوين فيكون جميع ما يحتاج إليه بإذن الله وهو قوله جل وعلا في بعض كتب "يا ابن آدم أنا الله الذي لا غليه إلا أنا أقول للشئ كن فيكون، أطعني أجعلك تقول للشئ كن فيكون".

المقالة السابعة والأربعون

في التقرب إلى الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : سألني رجل شيخ في المنام فقال : أي شيء يقرب العبد إلى الله عز وجل ؟ فقلت : لذلك ابتداء وانتهاء فابتداؤه الورع وانتهاؤه الرضى والتسليم والتوكيل .

المقالة الثامنة والأربعون

في ما ينبغي للمؤمن أن يشتغل به

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ينبغي للمؤمن أن يشتغل أولاً بالفرائض، فإذا فرغ منها اشتغل بالسنن، ثم يشتغل بالنوافل والفضائل، مما لم يفرغ من الفرائض فالاشتغال بالسنن حمق ورعونة، فإن اشتغل بالسنن والنوافل قبل الفرائض لم يقبل منه وأهين، فمثله مثل رجل يدعوه الملك إلى خدمته فلا يأتي إليه ويقف في خدمة الأمير الذي هو غلام الملك وخادمه وتحت يده وولايته.

عن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن مثل مصلى النوافل قبل الفرائض مثل حبل حملت فلما دنا نفاسها أسقطت فلا هي ذات حمل ولا هي ذات ولادة) كذلك المصلى لا يقبل الله له نافلة حتى يؤدى الفريضة. ومثل المصلى كمثل التاجر لا يخلص له ربحه حتى يأخذ رأس ماله، وكذلك المصلى بالنوافل لا تقبل له نافلة حتى يؤدى الفريضة، وكذلك من ترك السنة واشتغل بنافلة لم ترتب مع الفرائض ولم ينص عليها ويؤكد أمرها فمن الفرائض ترك الحرام والشرك بالله عز وجل في خلقه، والاعتراض عليه في قدره وقضائه وإجابة الخلق وطاعتهم، والإعراض عن أمر الله عز وجل وطاعته، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا طاعة لملخوق في معصية خالق).

المقالة التاسعة والأربعون

في ذم النوم

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : من اختار النوم على الذي هو سبب اليقظة فقد اختار الأنصى والأدنى واللحوق بالموت والغفلة عن جميع المصالح، لأن النوم أخو الموت ولهذا لا يجوز النوم على الله لما انتفى عز وجل عن القائض أجمع، وكذلك الملائكة لما قربوا منه عز وجل نفي النوم عنهم، وكذلك أهل الجنة لما كانوا في أرفع المواضع وأطهرها وأنفسها وأكرمتها نفي النوم عنهم لكونه نقصاً في حالتهم، فالخير كل الخير في اليقظة، والشر كل الشر في النوم والغفلة، فمن أكل بهواه أكل كثيراً فشرب كثيراً فنام كثيراً فندم كثيراً طويلاً وفاته خير كثير، ومن أكل قليلاً من الحرام كان كمن أكل كثيراً من المباح بهواه، لأن الحرام يغطي الإيمان فلا صلاة ولا عبادة ولا إخلاص، ومن أكل من الحلال كثيراً بالأمر كان كمن أكل منه قليلاً في النشاط في العبادة والقوة، فالحلال نور في نور، والحرام ظلمة في ظلمة، لا خير فيه . أكل الحلال بهواه بغير الأمر، وأكل الحرام مستجبان للنوم، فلا خير فيه.

المقالة الخمسون

في علاج دفع البعد عن الله تعالى وبيان كيفية التقرب منه تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا يخلو أمرك من قسمين:

إما أن تكون غائباً عن القرب من الله أو قريباً منه واصلاً إليه، فإن كنت غائباً عنه فما قعودك وتوانيك عن الحظ الأوفر والنعم والعز الدائم والكافية الكبرى والسلامة والغنى والدلال في الدنيا والأخرى؟ فقم وأسرع في الطيران إليه عز وجل بجناحين: أحدهما: ترك اللذات والشهوات الحرام منها والمباح والراحات أجمع.

والآخر احتمال الأذى والمكاره وركوب العزمية والأشد، والخروج من الخلق والهوى والإرادات والمنى دنيا وأخرى حتى تظفر بالوصول والقرب، فتتجدد عند ذلك جميع ما تتمنى، وتحصل لك الكراهة العظمى والعزيمة الكبرى فإن كنت من المقربين الواثقين إليه عز وجل ممن أدركهم العناية وشملتهم الرعاية وجذبتهم المحبة ونالتهم الرحمة والرأفة، فأحسن الأدب ولا تغتر بما أنت فيه، فتقصر في الخدمة، ولا تخلد إلى الرعونة الأصلية من الظلم والجهل والجهل في قوله تعالى : {وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} .الأحزاب 72 . وقوله تعالى : {وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا} .الإسراء 11 . وأحفظ قلبك من الالتفات إلى ما تركته من الخلق والهوى والإرادة والتخيير وترك الصبر والموافقة والرضا عند نزول البلاء، واستطرح بين يدي الله عز وجل كالكرة بين يدي الفارس يقلبها بصوغانه، والميت بين يدي الغاسل، والطفل الرضيع في حجر أمه وظهره، تعامي

عمن سواه عز وجل فلا ترى لغيره وجوداً ولا ضراً ولا نفعاً ولا عطاء ولا منعاً، أجعل الخلية
والأسباب عند الأذية والبلية كسوطه عز وجل يضر بك به، وعند النعمة والعطية كيده يلقمك بها.

المقالة الحادية والخمسون

في الزهد

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : الزاهد يثاب بسبب الأقسام مرتين يثاب في تركها أولاً، فلا يأخذها بهواء و موافقة النفس، بل يأخذها بمجرد الأمر، فإذا تحققت عداوته لنفسه و مخالفته لهواه عُد من المحققين و أهل الولاية و أدخل في زمرة الإبدال و العارفين أمر حبيذ بتناولها و التلبس بها، إذ هي قسمة لابد له منها لم تخلق لغيره، جف بها القلم و سبق بها العلم، فإذا امتنع الأمر فتناول أو أطلع بالعلم فتلبس بها بجريان القدر و الفعل فيه من غيري أن يكون هو فيه، لا هوى و لا إرادة و لا همة أثيب بذلك ثانياً، هو ممثل للأمر بذلك أو موافق لفعل الحق عز و جل فيه.

إإن قال قائل : كيف أطلقت القول بالثواب لمن هو في المقام الأخير الذي ذكرته من أنه أدخل في زمرة الإبدال و العارفين المفعول فيهم، الفانيين عن الخلق و الأنفس و الأهوية و الإرادات و الحظوظ و الأماني و الأعواض على العمال الذين يرون جميع طاعاتهم و عباداتهم فضلاً من الله عز و جل و نعمة و رحمة و توفيقاً و تيسيراً منه عز و جل ويعتقدون أنهم عبيد الله عز و جل ، و العبد لا يستحق على مولاه حقاً، إذ هو برمته مع حركاته و سكتاته و أكسابه ملك مولاه، فكيف يقال في حقه يثاب و هو لا يطلب ثواباً و لا عوضاً على فعله و لا يرى له عملاً بل يرى نفسه من البطالين و أفلس المفلسين من الأعمال.

فتقول : صدقت، غير أن الله عز و جل يواصله بفضله و يدلله بنعمه و يربيه بلطفه و رأفته و بره و رحمته و كرمه، إذ كف يده عن مصالح نفسه و طلب الحظوظ لها و جلب النفع إليها و دفع الضر عنها، فهو كالطفل الرضيع الذي لا حراك له في مصالح نفسه و هو مدلل بفضل الله عز و جل و رزقه الدار على يدي والديه الوكيلين الكفيلي، فلما سلب عنه مصالح نفسه عطف قلوب الخلق عليه و أوجد رحمة و شفقة له في القلوب حتى كل واحد يرحمه و يتغافل عنه و يبره، فهكذا الكل فان عن سوى الله الذي لا يحركه غيره أمره أو فعله مواصل بفضل الله عز و جل دنيا و أخرى مدلل فيهما مدفوع عنه الأذى متولي، قال تعالى : {إِنَّ وَلِيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّ الصَّالِحِينَ}. الأعراف 196.

المقالة الثانية والخمسون

في سبب ابتلاء طائفة من المؤمنين

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إنما يبتلى الله طائفة من المؤمنين الأحباب من أهل الولاية ليりدهم بالبلاء إلى السؤال فيحب سؤالهم، فإذا سألوا يحب إجابتهم فيعطي الكرم والجود حقهما لأنهما يطالبان لأنه عز و جل عند سؤال المؤمنين من الإجابة، وقد تحصل الإجابة ولا يحصل النقد والنقد لتعويق القدر لا على وجه عدم الإجابة والحرمان، فليتأدب العبد عند نزول البلاء، وليفتش عن ذنبه في ترك الأوامر وارتكاب المنهى ما ظهر منا وما بطن. والمنازعة في القدر إذا تعاقب عليه، إنما يبتلى بذلك مقابلة، فان انكشف البلاء، وإنما، فليتخذ إلى الدعاء والتضرع والاعتذار فيديم بالسؤال لجواز أن يكون ابتلاه ليسأله، ولا يتهمه لتأخير الإجابة لما بيناه، والله أعلم.

المقالة الثالثة والخمسون

في الأمر بطلب الرضا من الله و الفناء به تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أطربوا من الله عز و جل الرضا أو الفناء، لأنه هو الراحة الكبرى والجنة العالية المنفرة في الدنيا، وهو باب الله الأكبر وعلة محبة الله لعبدة المؤمن، فمن أحبه الله لم يعذبه في الدنيا والآخرة فيه اللحوق بالله عز و جل والوصول إليه، ولا تشتغلوا بطلب الحظوظ وأقسام لم تقسم أو قسمت، فإن كانت لم تقسم فالاشتغال بطلبها حمق ورعونة وجهالة، وهو أشد العقوبات، كما قيل: من أشد العقوبات طلب ما لا يقسم وإن كانت مقصومة فالاشتغال بها شره وحرص وشرك من باب العبودية والمحبة والحقيقة، لأن الاستغال بغير الله عز و جل شرك، وطالب الحظ ليس بصادق في محبته وولايته فمن احتال مع الله غيره فهو كذاب وطالب العوض على عمله غير مخلص، وإنما المخلص من عبد الله ليعطى الربوبية حقها للملكية والحقيقة، لأن الحق عز و جل يملكه ويستحق عليه العمل والطاعة له بحركاته وسكناته وسائل أكسابه، والعبد وما في يده ملوكه كيف وقد بينما في غير موضع أن العبادات بأسرها نعمة من الله وفضل منه على عبده إذ وفقه لها وأقدرها عليها، فالاشتغال بالشكر لربه خير وأولى من طلبه من الأعواض أو الجزاء عليها، ثم كيف تشتغل بطلب الحظوظ، وقد ترى خلقاً كثيراً كلما كثرت الحظوظ عندهم وتواترت وتتابعت اللذات والنعم والأقسام إليهم زاد سخطهم على ربهم وتضجرهم وكفراهم بالنعمة وكثرة هموهم وغمومهم وفقرهم إلى أقسام لم تقسم غير ما عندهم وحقرت وصغرت وقبحت أقسامهم عندهم وعظمت وكبرت وحسنت أقسام غيرهم وأنحلت قواهم، وكبرت سنهم وشتت أحوالهم وتعبت أجسادهم وعرقت جماهم وسودت صحائفهم بكثرة آثامهم وارتكاب عظام الذنوب في طلبها وترك أوامر ربهم فلم ينالوها وخرجوا من الدنيا مفالييس لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، لا شكرروا ربهم فيما قسم لهم من أقسامهم فاستعنوا بها على طاعته. وما نالوا ما طلبوا من أقسام غيرهم، بل ضيعوا دنياهم وآخرتهم، فهم

أشر الخلية وأجهلهم وأحمقهم وأخسهم عقولاً وبصيرة، فلو أنهم رضوا بالقضاء وقنعوا بالعطاء وأحسنوا طاعة المولى لأتهم أقسامهم من الدنيا من غير تعب ولا عناء، ثم نقلوا إلى جوار العلي الأعلى فوجدوا عنده كل مراد ومني، جعلنا الله وإياكم ممن رضي بالقضاء، وجعل سؤاله ذلك والفناء وحفظ الحال والتوفيق بما يحبه ويرضى.

المقالة الرابعة والخمسون

في من أراد الوصول إلى الله تعالى وبيان كيفية الوصول إليه تعالى

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : من أراد الآخرة فعليه بالزهد في الدنيا، و من أراد الله فعليه بالزهد في الآخرة، فيترك دنياه لآخرته و آخرته لربه، فما دام في قلبه شهوة من شهوات الدنيا و لذة من لذاتها و طلب راحة من راحتها من سائر الأشياء من مأكول و مشروب و مليوس و منكوح و مسكون و مركوب، و ولایة، و ریاسة و طبقة في علم من فنون العلم من الفقه فوق العادات الخمس، و رواية الحديث و قراءة القرآن بروايته، و النحو و اللغة و الفصاحة و البلاغة، و زوال الفقر و وجود الغنى و ذهاب البلية و مجيء العافية، و في الجملة انكشف الشر و نجى النفع فليس بزاهد حقاً لأن كل واحد من هذه الأشياء فيه لذة النفس و موافقة الهوى و راحة الطبع و حب له، وكل ذلك من الدنيا و مما يحب البقاء فيها و يحصل السكون و الطمأنينة إليها، فينبغي أن يجاهد في إخراج جميع ذلك عن القلب، و يأخذ نفسه بإزالته ذلك و قلعه و الرضا بالعدم و الإفلاس و الفقر الدائم، فلا يبقى من ذلك مقدار مص نواة ليخلص زهده في الدنيا، فإذا تم له ذلك زالت الغموم و الأحزان من القلب و الكرب عن الحشا، و جاءت الراحات و الطيب و الأننس بالله كما قال عز و جل: (الزهد في الدنيا يريح القلب و الجسد) فما دام في قلبه شئ من ذلك فالهموم و الخوف و الوجل قائم في القلب و الخذلان لازم له، و الحجاب عن الله عز و جل وعن قربه متکائف متراكם فلا ينكشف جميع ذلك إلا

بزوال حب الدنيا على الكمال و قطع العلائق بأثرها، ثم يزهد في الآخرة، فلا يطلب الدرجات و المنازل العاليات و الحور و الولدان و الدور و القصور و البساتين و المراكب و الخيل و الحلي و المأكل و المشارب و غير ذلك مما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين، فلا يطلب على عمله جزاء أو أجرًا من الله عز وجل البتة دنيا و لا أخرى، فحينئذ يجد الله عز وجل فيؤتى به حسابه تفضلاً منه و رحمة، فيقربه منه و يدنه و يلطف به و يتعرف إليه بأنواع الطافه و بره كما هو دأبه عز وجل مع رسالته و أوليائه و أوليائه و خواصه و أحبابه أولى العلم به عز وجل فيكون العبد كل يوم في مزيد أمره مدة حياته. ثم ينتقل إلى دار الآخرة إلى ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر، مما تضيق عنه الأفهام و تعجز عن وصفه العبارات، و الله أعلم.

المقالة الخامسة والخمسون

في ترك الحظوظ

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : ترك الحظوظ ثلاث مرات: الأولى يكون العبد ماراً في عشواد متخبطاً فيه متصرفًا بطشه في جميع أحواله من غير تبعد لربه و لازم في الشرع يرده و لا جده من جدود ينتهي إليه عن حكمه، وبينما هو على ذلك ينظر الله إليه يعني يرحمه، فيبعث الله إليه واعظاً من خلقه من عباده الصالحين فينبهه، و يشنه بوعاظ من نفسه، فيتضافر الواقعون على نفسه و طبعه، فتعمل الموعظة عملها، فتبين عندها عيب ما هي فيه من ركوب مطية الطبع و المخافة فتميل إلى الشرع في جميع تصرفاتها فيصير العبد مسلماً قائماً مع الشرع فانياً عن الطبع، فيترك حرام الدنيا و شبهاها و منن الخلق، فيأخذ مباح الحق عز وجل و حلال الشرع في مأكله و مشربه و ملبيه و منكحه و جميع ما لا بد منه، لتحتفظ البنية و يتقوى على طاعة رب عز وجل، و ليستوفى قسمه المقسم له الذي لا يتجاوزه و لا سبيل إلى الخروج من الدنيا قبل تناوله و التلبس به و استيفائه في sisir على مطية المباح و الحلال في الشرع في جميع أحواله تنتهي به هذه المطية إلى عتبة الولاية و الدخول في زمرة المحققين و الخواص أهل العزيمة

مريدي الحق، فيأكل بالأمر، فحينئذ يسمع نداء من قبل الحق عز وجل من باطنه: أترك نفسك و تعال، أترك الحظوظ والخلق إن أردت الخالق، وأخلع نعليك، ودنياك و آخرتك، و تجرد عن الأكوان وال موجودات و ما سيوجد و الأماني بأسرها، و تعر عن الجميع وافن عن الكل و تطيب بالتوحيد و أترك الشرك و صدق الإرادة. ثم وطء البساط بالأدب مطرقاً، لا تنظر يميناً إلى الآخرة و لا شمالاً إلى الدنيا و لا إلى الخلق و لا إلى الحظوظ، فإذا دخل في هذا المقام، و تحقق الوصول جاءت الخلعة من قبل الحق عز وجل، و غشيته أنواع المعارف و العلوم و أنواع الفضل، فيقال له: تلبس بالنعم و الفضل و لا تسئ الأدب بالرد و ترك التلبس، لأن رد نعم الملك افتئاتا على الملك و استخفافاً بحضرته و حينئذ يتلبس بالفضل و القسمة بالله من غير أن يكون هو فيه و من قبل كأن يتلبس بهواه و نفسه فله أربع حالات في تناول الحظوظ والأقسام:

الأولى بالطبع هو الحرام. و الثانية بالشرع و هو المباح و الحلال. و الثالثة بالأمر و هي حالة الولاية و ترك الهوى. و الرابعة بالفضل و هي حالة زوال الإرادة و حصول البدلية و كونه مراداً قائماً مع القدر الذي هو فعل الحق و هي حالة العلم و الاتصاف بالصلاح، فلا يسمى صالحاً على الحقيقة إلا وصل إلى هذا المقام، و هو قوله تعالى: {إِنَّ وَلِيَّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّ الصَّالِحِينَ}. الأعراف 196. فهو العبد الذي كفت يده عن جلب مصالحة و منافعه و عن رد مضاره و مفاسده، كالرضيع مع الظئر، و الميت الغسيل مع الغاسل، فستولى يد القدر تربيته من غير أن يكون له اختيار و تدبير، فان عن جميع ذلك لا حالاً و لا مقاماً و لا إرادة، بل القيام مع القدرة، تارة يبسط و تارة يغنى و تارة يفقر، و يختار و لا يتمني زوال ذلك و تغييره، بل الرضى الدائم و الموافقة الأبدية، فهو آخر ما تنتهي أحوال الأولياء قدست أسرارهم.

المقالة السادسة والخمسون

في فناء العبد عن الخلق و الهوى و النفس و الإرادة و الأمانى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا فني العبد عن الخلق و الهوى و النفس و الإرادة و الأمانى دنيا و أخرى و لم يرد إلا الله عز و جل و خرج الكل عن قلبه و صل إلى الحق، و اصطفاه و اجتباه، و أحبه و حبه إلى خلقه، و جعله يحبه و يحب قربه، و يتعم بفضله و يتقلب في نعمه و فتح عليه أبواب رحمته، و وعده أن لا يغلقها عنه أبداً، فيختار العبد حينئذ الله، و يدبر بتدبيره و يشاء بمشيئته، و يرضي برضاه يمثل أمره دون غيره، و لا يرى لغيره عز و جل وجوداً و لا فعلاً، فحينئذ يجوز أن يعده الله وبعد ثم لا يظهر للعبد وفاء بذلك، و لا يغير ما قد توهمه من ذلك، لأن الغيرية قد زالت بزوال الهوى و الإرادة فصار في فعل الله عز و جل و إرادته فيصير الوعد حينئذ في حقه مع الله عز و جل كرجل عزم على فعل شيء في نفسه و نواه ثم صرفه إلى غيره كالناسخ و المنسوخ فيما أوحى الله عز و جل إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز و جل : {مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُسِّهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. البقرة 106. لما كان النبي صلى الله عليه وسلم منزوع الهوى و الإرادة سوى الموضع التي ذكرها الله عز و جل في القرآن من الأسر يوم بدر {تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}. الأنفال 67-68. كذا قالوا، و غيره و هو مراد الحق عز و جل لم يترك على حالة واحدة بل نقله إلى القدر إليه فصرفه في القدر و قلبه منها، نبهه بقوله تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. البقرة 106. يعني أنك في بحر القدر تقلبك أمواجه تارة كذا و تارة كذا، فمتنهى أمر الولي ابتداء أمر النبي ما بعد الولاية و البديلية إلا النبوة، و الله أعلم.

المقالة السابعة والخمسون

في عدم المنازعة في القدر والأمر بحفظ الرضا به

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : الأحوال قبض كلها ، لأنه يؤمر الولي بحفظها وكل ما يؤمر بحفظه فهو قبض ، والقيام مع القدر بسط كله ، لأنه ليس هناك شيء يؤمر بحفظه سوى كونه موجوداً في القدر ، فعليه أن لا ينazu ف في القدر بل يواافق ولا ينazu في جميع ما يجري عليه مما يحلو ويمر . الأحوال معدودة فأمر بحفظ حدوده ، والفضل الذي هو القدر غير محدود فيحفظ .

وعالمة أن العبد دخل في مقام القدر والفعل والبسط أنه يؤمر بالسؤال في الحظوظ بعد أن أمر بتركها والزهد فيها ، لأنه لما خلا باطنها من الحظوظ ولم يبق غير الرب عز وجل بوسط فأمر بالسؤال والتشهي وطلب الأشياء التي هي قسمه ، ولا بد من تناولها والتوصل إليه بسؤاله ، ليتحقق كرامته عند الله عز وجل ومنزلته ، وامتنان الحق عز وجل عليه بإجابتة إلى ذلك ، والإطلاق بالسؤال في عطاء الحظوظ من أكثر علامات البسط بعد القبض ، والإخراج من الأحوال والمقامات والتكليف في حفظ الحدود .

فإن قيل : هذا يدل على زوال التكليف والقول بالزندة والخروج من الإسلام ، ورد قوله عز وجل : {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} . الحجر 99. قيل لا يدل على ذلك ولا يؤدى إليه بل الله أكرم ووليه أعز عليه من أن يدخله في مقام النقص والقبيح في شرعه ودينه ، بل يعصمه من جميع ما ذكر ويصرفه عنه ويحفظه وينبهه ويسدده لحفظ الحدود ، فتحصل العصمة وتتحفظ الحدود من تكليف منه ومشقة ، وهو عن ذلك في غيبة فيقرب قال عز وجل : {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءِ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} . يوسف 24. وقال عز وجل : {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} . الحجر 42 . الإسراء 65. وقال تعالى : {إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ

الْمُخْلَصِينَ}. الصافات 40+74+160. يا مسكين هو محمول الرب وهو مراده، وهو يربيه في حجر قربه ولطفه، أنى يصل الشيطان عليه وتطرق القبائح والمكاره في الشرع نحوه؟ أبعدت النجعة وأعظمت الفرية وقلت قولهً فظيعاً، تباً لهذه الهمم الخسيسة الدنيئة والعقول الناقصة البعيدة و الآراء الفاسدة المتخلخلة، أعاذنا الله والإخوان من الضلاله المختلفة بقدرته الشاملة ورحمته الواسعة، وسترنا بأستاره التامة المانعة الحامية، وربانا بنعمه السابغة وفضائله الدائمة بمنه وكرمه تعالى شأنه.

المقالة الثامنة والخمسون

في صرف النظر عن كل الجهات و طلب جهة فضل الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : تقام عن الجهات كلها ولا تبصص على شيء منها، فما دمت تنظر إلى واحدة منها لا يفتح لك جهة فضل الله عز وجل وقربه، فسد الجهات جميعا بتوجيهه وإمحاء نفسك ثم فنائك ومحوك وعلمك، فحينئذ يفتح عين قلبك جهة فضل الله العظيم، فتراها بعيني رأسك إذا ذاك شعاع نور قلبك وإيمانك ويقينك فيظهر عند ذلك النور من باطنك على ظاهرك كنور الشمعة التي في البيت المظلم في الليلة الظلماء، يظهر من كوى البيت ومنافذه فيشرق ظاهر البيت بنور باطنها، فتسكن النفس و الجوارح إلى وعد الله وعطائه عن عطاء غيره و وعد غيره عز و جل. و ارحم نفسك ولا تظلمها ولا تلقها في ظلمات جهلك ورعونتك، فتنتظر إلى الجهات وإلى الخلق والحوال والقوة والكسب والأسباب فتتوكل إليها، فتسد عنك الجهات ولم تفتح لك جهة فضل الله عز وجل عقوبة و مقابلة لشريك بالنظر إلى غيره عز وجل، فإذا وجدته ونظرت إلى فضله ورجوته دون غيره وتعامت عما سواه، قربك وأدناك، ورحمك ورباك وأطعمك وسقاك، وداواك وعفاك، وأعطيك وأغناك، فلا ترى بعد ذلك لا فرقك ولا غناك.

المقالة التاسعة والخمسون

في الرضا على البلاية والشكر على النعمة

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : لا تخلو حالتك إما أن تكون بلاية أونعمة. فإن كانت بلاية فتطالب فيها بالصبر، وهو الأدنى، والصبر وهو أعلى منه. ثم الرضا والموافقة، ثم الفناء، وهو للإبدال، وإن كانت نعمة فتطالب فيها بالشكر عليها. والشكر باللسان والقلب والجوارح.

أما باللسان فالاعتراف بالنعمة أنها من الله عز وجل : وترك الإضافة إلى الخلق لا إلى نفسك وحولك وقوتك وكسبك ولا إلى غيرك من الذين جرت على أدיהם، لأنك وإياهم أسباب وآلات وأدلة لها، وإن قاسمها مجريها وموجدها والشاغل فيها والمسبب لها هو الله عز وجل والقاسم هو الله، والمجرى هو والموجد هو، فهو أحق بالشكر من غيره.

لا نظر إلى العلام الحمال للهدية إنما النظر إلى الأستاذ المنفذ المنعم بها قال الله تعالى في حق من عدم هذا المنظر : {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}. الروم 7. فمن نظر إلى الظاهر والسبب ولم يجاوز علمه ومعرفته فهو الجاهل الناقص فاقد العقل، إنما سمي العاقل عاقلاً لنظره في العواقب.

وأما الشكر بالقلب، فالاعتقاد الدائم. والعقد الوثيق الشديد المتبرم. إن جميع ما بك من النعم والمنافع واللذات في الظاهر والباطن في حركاتك وسكناتك من الله عز وجل لا من غيره، ويكون شكرك بلسانك معبراً عما في قلبك. وقد قال عز وجل : {وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ

اللهِ}. النحل53. وقال تعالى : {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً }. لقمان20. وقال تعالى: {وَإِن تَعْدُوا نِعَمَةَ اللَّهِ لَا تُخْصُوهَا}. النحل18. فمع هذا لا يبقى لمؤمن منعم سوى الله تعالى.

وأم الشكر بالجوارح فبيان تحرّكها وتستعملها في طاعة الله عز وجل دون غيره من الخلق، فلا تجيء أحداً من الخلق، فيما فيه إعراض عن الله تعالى، وهذا يعم النفس والهوى والإرادة والأمانى وسائل الخليقة، كجعل طاعة الله أصلاً ومتبعاً وإماماً وما سواها فرعاً وتابعـاً ومأموراً، فإن فعلت غير ذلك كنت جائراً ظالماً حاكماً بغير حكم الله عز وجل الموضوع لعباده المؤمنين، وسالكاً غير سبيل الصالحين. قال الله عز وجل : {وَمَن لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}. المائدة44. وفي آية أخرى : {وَمَن لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}. المائدة45. وفي أخرى : {هُمُ الْفَاسِقُونَ}. المائدة47. فيكون انهاوك إلى التي وقودها الناس والحجارة، وأنت لا تصير على حمى ساعة في الدنيا وأقل بسطة وشارة من النار فيها، فكيف صبرك على الخلود في الهاوية مع أهلها النجا النجا، الوها الوها، الله الله، أحفظ الحالتين وشروطهما، فإنك لا تخلو في جميع عمرك من أحديهما إما البلاية وإما النعمة فأعط كل حالة حظها وحقها من الصبر والشکر على ما بينت لك، فلا تشكون في حالة البلاية إلى أحد من خلق الله، ولا تظهنن الضجر لأحد ولا تتهمن ربك في باطنك. ولا تشنون في حكمته واحتراز الأصلاح لك في دنياك، وآخرتك، فلا تذهبن بهمتك إلى أحد من خلقه في معافتلك فذاك إشراك منك به عز وجل، لا يملك معه عز وجل في ملكه أحد شيئاً لا ضار ولا نافع ولا دافع، ولا جالب ولا مسقم، ولا مبلي، ولا معاف ولا مبرئ غيره عز وجل، فلا تشتعل بالخلق لا في الظاهر ولا في الباطن، فإنهم لن يغدوا عنك من الله شيئاً، بل ألزم الصبر والرضا والموافقة والفناء في فعله عز وجل، فإن حرمت ذلك كله فعليك بالاستغاثة إليه عز وجل، والتضرع من شؤم النفس، ونزاهة الحق عز وجل والاعتراف له بالتوحيد بالتعيم، والتبرى من الشرك، وطلب الصبر والرضا والموافقة، إلى حين يبلغ الكتاب أجله، فتزول البلاية وتنكشف الكربة، وتأتى النعمة والسعـة والفرحة والسرور، كما كان في حق نبي الله أيوب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأشرف السلام، كما يذهب سواد الليل ويأتي بياض النهار، ويذهب برد الشتاء ويأتي نسيم الصيف وطيبة لأنـه لكل شـئ ضدـاً وخـلافـاً وغاـية وبدـءاً ومنتـهيـ، فالصـبر مـفتـاحـه وابـتـداـءـه وانتـهاـءـه وجـمالـه كـما جـاءـ فيـ الخبرـ (الصـبرـ مـنـ الإـيمـانـ كـالـرـأسـ مـنـ الـجـسـدـ)ـ وـفـيـ لـفـظـ (الصـبرـ الإـيمـانـ كـلـهـ)ـ وـفـيـ كـوـنـ

الشكر هو التلبس بالنعم وهي أقسامه المقسمة لك، فشكر التلبس بها في حال فنائك، وزوال الهوى والحمية والحفظ، وهذه حالة الأبدال وهي المنتهي، اعتبر ما ذكرت لك ترشد إن شاء الله تعالى.

المقالة الستون

في البداية و النهاية

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : البداية : هي الخروج من المعهود إلى المشروع ثم المقدور، ثم الرجوع للمعهود. ويشترط حفظ الحدود، فتخرج من معهودك من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمسكون والطبع والعادة إلى أمر الشرع ونهيه، فتتبع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى : {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}. الحشر 7. وقال تعالى : {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ}. آل عمران 31. فتفنى عن هواك ونفسك ورعونتها في ظاهرك وباطنك فلا يكون في باطنك غير توحيدك له وفي ظاهرك غير طاعة الله وعبادته مما أمر ونهى، فيكون هذا دأبك وشعارك ودثارك في حركتك وسكنك، في ليلك ونهارك، وسفرك وحضرتك، وشدةك ورخائك، وصحتك وسقمك، وأحوالك كلها، ثم تحمل إلى وادي القدر فيتصرف فيك القدر، فتفنى عن جدك واجتهادك وحولك وقوتك، فتساق إليك الأقسام التي جف بها القلم وسبق بها العلم، فتلبس بها وتعطى منها الحفظ والسلامة فتحفظ فيها الحدود ويحصل فيها الموافقة لفعل المولى، ولا تخرب قاعدة الشرع على الزندقة وإباحة المحرم قال تعالى : {إِنَّا نَحْنُ نَرِئُنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}. الحجر 9. وقال تعالى : {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}. يوسف 24. فتصحب الحفظ والحمية وإنما هي أقساماً معدة لك، فحبسها عنك في حال سيرك وطريقك وسلوكك فيافي الطبع ومفاوز الهوى المعهود، لأنها أثقال أحمال ما زاحت عنك، لثلا يشقلك فتضعفك إلى حين

الوصول إلى عتبة الفناء، وهو الوصول إلى قرب الحق عز وجل والمعرفة به، والاختصاص بالأسرار والعلوم الدينية، والدخول في بحار الأنوار، حيث لا تضر ظلمة الطبائع والأنوار، فالطبع باق إلى أن تفارق الروح الجسد لاستيفاء الأقسام، إذ لو زال الطبع من الآدمي لالتحق بالملائكة وبطلت الحكمة، فبقى الطبع يستوفي الأقسام والحظوظ، فيكون ذلك وظائفًا لا أصلياً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة) فلما فني النبي صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وما فيها ردت إليه أقسامه المحبوبة عنه في حال سيره إلى ربه عز وجل ، فاستوفاها موافقة لربه تعالى والرضا بفعله ممثلاً لأمره، قدست أسمائه وعمت رحمته، شمل فضله لأوليائه وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، فهكذا الولي في هذا الباب ترد إليه أقسامه وحظوظه مع حفظ الحدود، فهو الرجوع من النهاية إلى البداية، والله أعلم.

المقالة الحادية والستون

في التوقف عند كل شيء حتى يتبيّن له إباحة فعله

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : كل مؤمن مكلف بالتوقف و التفتیش عند حضور الأقسام عن التناول و الأخذ، حتى يشهد له الحكم بالإجابة، و العلم بالقسمة، و المؤمن فتاش و المنافق لقاف. و قال صلی الله عليه و سلم (المؤمن وقاف) و قال صلی الله عليه و سلم : (دع ما يرييك إلى ما لا يرييك) فالمؤمن يقف عند كل قسم من مأكول و مشروب و ملبوس و منكوح و سائر الأشياء التي تفتح له فلا يأخذ حتى يحكم له بجواز الأخذ و التناول كحكمه إذا كان في حالة التقوى. أو حتى يحكم له بذلك الأمر إذا كان في حالة الولایة. أو حتى يحكم العلم في حالة البذرية و الغوثية، و الفعل الذي هو القدر الممحض و هي حالة الفناء، ثم تأتيه حالة أخرى تتناول كل ما يأتيه و يفتح له ما لم يعرض عليه الحكم والأمر والعلم، فإذا اعترض أحد هذه الأشياء امتنع من التناول، فهي ضد الأولى.

ففي الأولى الغالب عليه التوقف و الشبت. و في الثانية الغالب عليه التناول و الأخذ و التلبس بالفتح. ثم تأتي الحالة الثالثة.

فالتناول الممحض و التلبس بما يفتح من النعم من غير اعتراض أحد الأشياء الثلاثة و هي حقيقة الفناء، فيكون المؤمن فيها محفوظاً من الآفات و خرق حدود الشرع مصانًا مصروفاً عنه الأسواء، كما قال الله تعالى : { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا }

الْمُخْلَصِينَ} يوسف 24. فيصير العبد مع الحفظ عن خرق الحدود كالمقرض إليه المأذون له و المطلق له في الإباحات الميسر له الخير، ما يأتيه قسمه المصفى له من الآفات و التبعات في الدنيا و الآخرة، و الموافق لإرادة الحق و رضاه و فعله و لا حالة فوقها و هي الغاية، و هي السادة الأولياء الكبار الخلص أصحاب الأسرار، الذين أشرفوا على عتبة أحوال الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

المقالة الثانية والستون

في المحبة و المحبوب و ما يجب في حقهما

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ما أكثر ما يقول المؤمن قرب فلان و بعدt، وأعطي فلان و حرمت، وأغنى فلان و أفترت و وفي فلان و أسلقت، و عظم فلان و حقرت، و حمد فلان و ذمت، و صدق فلان و كذبت. أما يعلم أنه الواحد. وأن الواحد يحب الوحدانية في المحبة، و يحب الواحد في محبته.

إذا قررك بطريق غيره نقصت محبتك له عز و جل و شعبت فربما دخلك الميل إلى من ظهرت المواصلة و النعمة على يديه، فتنقص محبة الله في قلبك، و هو عز و جل غيور لا يحب شريكه فكف أيدي الغير عنك بالمواصلة و لسانه عن حمدك و ثنائك و رجليه عن السعي إليك كيلا تشتعل به عنه، أما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم : (جلت القلوب على حب من أحسن إليها) فهو عز و جل يكف الخلق عن الإحسان إليك من كل وجه و سبب حتى توحده و تحبه، و تصير له من كل وجه بظاهرك و باطنك في حركاتك و سكناتك، فلا ترى الخير إلا منه و لا الشر إلا منه عز و جل ، و تفني عن الخلق و عن النفس، و عن الهوى و الإرادة و المنى، و عن جميع ما سوى المولى، ثم يطلق الأيدي إليك بالبسط و البذل و العطاء، و الألسن

بالحمد و الثناء فيدلك أبداً في الدنيا ثم في العقبى، فلا تسئ الأدب، انظر إلى من ينظر إليك، و اقبل على من أقبل إليك، و أحب من يحبك و استجرب من يدعوك و أعط يدك من يشتبك من سقطك و يخرجك من ظلمات جهلك، و ينجيك من هلكك و يغسلك من نجاسك، و ينظفك من أوسخاك، و يخلصك من جيفك و نتنك، و من أوهامك الرديمة، و من نفسك الأمارة بالسوء و أقرانك الضلال المضلين شياطينك، و أخلاقك الجهال قطاع طريق الحق الحائليين بينك و بين كل نفيس و ثمين و عزيز.

إلى متى المعاد، إلى متى الحق، إلى متى الهوى، إلى متى الرعونة، إلى متى الدنيا، إلى متى الآخرة، إلى متى سوى المولى؟ أين أنت من خالقك و الأشياء، و المكون الأول الآخر الظاهر الباطن، و المرجع و المصدر إليه، و له القلوب و طمأنينة الأرواح و محطة الانتقال و العطاء و الامتنان، عز شأنه.

المقالة الثالثة والستون

في نوع من المعرفة

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : رأيت في المنام كأني أقول يا مشرك بربه في باطنـه بنفسـه و في ظاهرـه بخلقـه و في عملـه بإرادـته، فقال رجل إلى جنبي ما هذا الكلام، فقلـت هذا نوع من أنواع المعرفـة.

المقالة الرابعة والستون

في الموت الذي لا حياة فيه و الحياة التي لا موت فيها

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : صاق أبى الأمر يوماً فتحرك في النفس، فقيل لي :
ماذا تريده؟؟ فقلت: أريد موتاً لا حياة فيه و حياة لا موت فيها؟؟ فقيل لي: ما الموت الذي لا
حياة فيه و ما الحياة التي لا موت فيها؟؟ قلت:

الموت الذي لا حياة فيه موتي عن جنسى من الخلق فلا أراهم في الضر و النفع، و موتي
عن نفسي و هوائي و إرادتي و منائي في الدنيا و الأخرى فلا أحس في جميع ذلك و لا أجد.

و أما الحياة التي لا موت فيها: فحياتي بفعل ربى عز و جل بلا وجودي فيه، و الموت في
ذلك وجودي معه عز و جل، فكانت هذه الإرادة أنفس إرادة أردها منذ عقلت.

المقالة الخامسة والستون

في النهي عن التسخط على الله في تأخير إجابة الدعاء

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : ما هذا التسخط على ربك عَزَّ و جلَّ من تأخير إجابة الدعاء؟؟ تقول حرم على السؤال للخلق و أوجب على السؤال و أنا أدعوه و هو لا يجيئني فيقال لك أحر أنت أم عبد فإن قلت أنا حر فأنت كافر و غن قلت أنا عبد الله، فيقال لك أمتهم أنت لوليك في تأخير إجابة دعائك و شاك في حكمته و رحمته بك و بجميع خلقه و علمه بأحوالهم أو غير متهم له عَزَّ و جلَّ ؟؟ فإن كنت غير متهم له و مقر بحكمته و إرادته و مصلحته لك و تأخير ذلك فعليك بالشكرا له عَزَّ و جلَّ، لأنه اختار لك الأصلاح و النعمة و دفع الفساد، و إن كنت متهماً له في ذلك فأنت كافر بتهمتك له، لأنك بذلك نسبت له الظلم و هو ليس بظلم للعبيد، لا يقبل الظلم و يستحيل عليه أن يظلم إذ هو مالك كل شيء فلا يطلق عليه اسم الظالم، و إنما الظالم من يتصرف في ملك غيره بغير إذنه فانسد عليك سبيل التسخط عليه في فعله فيك بما يخالف طبعك و شهوة نفسك و إن كان في الظاهر مفسدة لك.

فعليك بالشكرا و الصبر و الموافقة، و ترك السخط و التهمة و القيام مع رعنونة النفس و هواها الذي يضل عن سبيل الله.

وعليك بدوام الدعاء و صدق الاتجاء، و حسن الظن بربك عَزَّ و جلَّ، و انتظار الفرج منه، و التصديق بوعده، و الحياة منه، و الموافقة لأمره، و حفظ توحيده و المسارعة إلى أداء أوامره، و التماوت عن نزول قدره بك و بفعله فيك، و إن كان لابد أن تتهم و تسئ الظن بنفسك الأمارة بالسوء العاصية لربها عَزَّ و جلَّ أولى بهما، و نسبتك الظلم إليها أخرى من مولاك. فاحذر موافقتها و موالاتها، و الرضى بفعلها و كلامها في الأحوال كلها، لأنها عدوة الله و

عدوتك، و موالية لعدو الله و عدوك الشيطان الرجيم، هي خليلته و جاسوسته و مصافيته، الله الله ثم الله، الحذر الحذر النجا النجا، أتهمها و أنسب الظلم إليها و اقرأ عليها قوله عز و جل : {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ}. النساء 147. و قوله عز و جل : {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}. يونس 44. و غيرها من الآيات و الأخبار.

كن مخاصماً لله على نفسك مجادلاً لها عنه عز و جل، و محارباً و سيافاً و صاحب جنده و عسكره، فإنها أعدى عدو الله عز و جل، قال الله تعالى : " يا داود أهجر هواك فإنه لا منازع ينارعني في ملكي غير الهوى ".

المقالة السادسة والستون

في الأمر بالدعاء و النهى عن تركه

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا تقل لا أدعوك الله، فإن كان ما أسأله مقسوماً فسيأتي إن سأله أو لم أسأله، وإن كان غير مقسوم فلا يعطيني بسؤال، بل أسأله عز و جل جميع ما تريده و تحتاج إليه من خير الدنيا و الآخرة ما لم يكن فيه محرم و مفسدة لأن الله تعالى أمر بالسؤال له و حث عليه. قال تعالى : {إِذْدُعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}. غافر 60. و قال عز و جل : {وَلَا تَتَمَنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ} {وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ}. النساء 32. قال النبي صلى الله عليه وسلم : (اسألوا الله و أنتم موقون بالإجابة) و قال صلى الله عليه وسلم : (اسألوا الله ببطون أكفكم) و غير ذلك من الأخبار. و لا تقل إني أسأله فلا يعطيني فإذا لا أسأله، بل دم على دعائه، فإن كان ذلك مقسوماً ساقه إليك بعد أن تسأله، فيزيد ذلك إيماناً و يقيناً و توحيداً و ترك سؤال الخلق و الرجوع إليه في جميع أحوالك و إنزال حوانجك به عز و جل ، و إن لم يكن مقسوماً لك أعطاك الغناء عنه و الرضا عنه عز و جل بالقصص. فإن كان فقراً أو مريضاً أرضاك

بهمَا وَإِنْ كَانَ دِينًا قُلْبُ الدَّائِنِ مِنْ سُوءِ الْمَطَالِبِ إِلَى الرَّفْقِ وَالتَّأْخِيرِ وَالْتَّسْهِيلِ إِلَى حِينٍ مِّنْ سِرْتِكَ أَوْ إِسْقاطِهِ عَنْكَ أَوْ نَقْصِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْقُطْ وَلَمْ يَتَرَكْ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا أَعْطَاكَ عَزًّا وَجَلًّا ثَوَابًا جَزِيلًا مَا لَمْ يَعْطُكَ بِسُؤَالِكَ فِي الدُّنْيَا، لَأَنَّهُ كَرِيمٌ غَنِيٌّ رَحِيمٌ، فَلَا يَخِيبُ سَائِلُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلَا يَبْدُ مِنْ فَائِدَةٍ، وَنَائِلَةٌ إِمَّا عَاجِلًا وَإِمَّا آجِلًا فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: (الْمُؤْمِنُ يَرَى فِي صَحِيفَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسَنَاتِهِ لَمْ يَعْمَلْهَا وَلَمْ يَدْرِ بِهَا فَيُقَالُ لَهُ أَتَعْرَفُهَا؟ فَيَقُولُ مَا أَعْرَفُهَا مِنْ أَينَ لِي هَذِهِ؟ فَيُقَالُ لَهُ إِنَّهَا بَدْلُ مَسَأْلَتِكَ الَّتِي سَأَلْتَهَا فِي دَارِ الدُّنْيَا) وَذَلِكَ أَنَّهُ بِسُؤَالِ اللَّهِ عَزًّا وَجَلًّا يَكُونُ ذَاكِرًا اللَّهُ وَمُوَحِّدًا وَوَاضِعُ الشَّيْءِ فِي مَوْضِعِهِ، وَمَعْطِيِ الْحَقِّ أَهْلَهُ، وَمُتَبَرِّئًا مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَتَارِكًا لِلتَّكْبِيرِ وَالْتَّعْظِيمِ وَالْأَنْفَةِ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ أَعْمَالٌ صَالِحةٌ ثَوَابُهَا عِنْدَ اللَّهِ عَزًّا وَجَلًّا.

المقالة السابعة والستون

في جهاد النفس و تفصيل كيفية

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : كلما جاهدت نفسك و غلبتها و قتلتها بسيف المخالفه أحياها الله، و نازعتك و طلبت منك الشهوات و اللذات الجناح منها و المباح، لتعود إلى المجاهدة ليكتب لك ثواباً دائمًا، و هو معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) أراد مجاهدة النفس لدوامها و استمرارها على الشهوات و اللذات، و إنهماكها في المعاصي، و هو معنى قوله عز و جل : {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}. الحجر 99. أمر الله عز و جل لنبيه صلى الله عليه وسلم بالعبادة و هي مخالفه النفس، لأن العبادة كالها تأباهما النفس و تريدها إلى أن يأتيه اليقين يعني الموت.

فإن قيل : كيف تأبى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم العبادة و هو عليه الصلاة و السلام لا هوى له {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} . النجم 3-4. فيقال أنه عز و

جلَّ خاطب نبيه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليقرر به الشرع فيكون عاماً بين أمته إلى أن تقوم الساعة. ثم إن الله عزَّ وَ جَلَّ أعطى نبيه عليه الصلاة و السلام القوة على النفس و الهوى، كيلا يضراه و يحوجه إلى المجاهدة، بخلاف أمته، فإذا دام المؤمن على هذه المجاهدة إلى أن يأتيه الموت و يلحق بربه عزَّ وَ جَلَّ بسيف مسلول ملطف بدم النفس و الهوى أعطاه ما ضمن له من الجنة، قوله عزَّ وَ جَلَّ : {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} .النَّتْرَعَات١٤٠-٤١ . فإذا أدخله الجنة و جعلها داره و مقره و مصيره، أمن من التحويل عنها و الانتقال إلى غيرها و العودة إلى دار الدنيا جدد له كل يوم و كل ساعة من أنواع النعيم و تغير عليه أنواع الحال و الحلى إلى ما لا نهاية و لا غاية و لا نفاد، كما جدد في الدنيا كل يوم و كل ساعة و لحظة مجاهدة النفس و الهوى.

و أما الكافر و المنافق و العاصي لما تركوا مجاهدة النفس و الهوى في الدنيا و تابعواها، و وافقوا الشيطان تمرجاً في أنواع المعاشي من الكفر و الشرك و ما دونهما حتى أتاهم الموت من غير الإسلام و التوبة، أدخلهم الله النار التي أعدت للكافرين في قوله عزَّ وَ جَلَّ : {وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} .آل عمران١٣١ . فإذا أدخلهم فيها و جعلها مقرهم و صيرهم، فأحرقت جلودهم و لحومهم جدد لهم عزَّ وَ جَلَّ جلوداً و لحوماً كما قال عزَّ وَ جَلَّ : {كُلُّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلَنَا هُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا} .النساء٥٦ . يفعل عزَّ وَ جَلَّ بهم ذلك كما وافقوا أنفسهم و أهواءهم في الدنيا في معاصيه عزَّ وَ جَلَّ ، فأهل النار تجدد لهم كل وقت جلود و لحوم لإ يصل العذاب و الآلام إليهم. و سبب ذلك مجاهدة النفس و عدم موافقتها في دار الدنيا و هذا معنى قول النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (الدُّنْيَا مُرْزُعَةُ الْآخِرَةِ) .

المقالة الثامنة والستون

في قوله تعالى : (كل يوم هو في شأن)

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : إذا أجاب الله عبداً ما سأله و أعطاه ما طلبه لم تخرب إرادته و لا ما جف به القلم و سبق به العلم، لكنه يوافق سؤاله مراد ربه عز و جل في وقته، فتحصل الإجابة و قضاء الحاجة في الوقت المقدر الذي قدره له في السابقة لبلغ القدر وقته كما قال أهل العلم قوله عز و جل : {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأنٍ}. الرحمن 29. أي يسوق المقادير إلى المواقف، يعطى الله أحداً شيئاً في الدنيا بمجرد دعائه، وكذلك لا يصرف عنه شيئاً بدعائه المجرد، و الذي ورد في الحديث (و لا يرد القضاء إلا الدعاء) قيل إن المراد به لا يرد القضاء إلا الدعاء الذي قضى أن يريد لقضائه، وكذلك لا يدخل أحد الجنة في الآخرة بعمله، بل برحمته الله عز و جل، لكنه يعطى العباد في الجنة الدرجات على قدر أعمالهم.

و قد ورد في حديث عائشة رضي الله عنها (أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم هل يدخل أحد الجنة بعمله؟ فقال لا برحمته الله، فقالت و لا أنت؟ فقال و لا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته و وضع يده على هامته) و ذلك لأن الله عز و جل لا يجب عليه لأحد حق و لا يلزمها الوفاء بالعهد، بل يفعل ما يريد يعذب من يشاء و يغفر لمن يشاء، و يرحم من يشاء، فعال لما يريد و لا يسأل عما يفعل و هم يسئلون، يرزق من يشاء بغير حساب بفضل رحمته و منته، و يمنع من شاء بعدله، و كيف لا يكون كذلك و الخلق من لدن العرش إلى الشري التي هي الأرض السابعة السفلی ملكه و صنعته، لا مالك لهم غيره و لا صانع لهم غيره، قال عز و جل : {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ}. فاطر 3. و قال تعالى : {إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ}. النمل 60-61-62-63-64. و قال تعالى : {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيَاً}. مريم 65. و قال تعالى : قُلِ اللَّهُمَّ مَا لِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاء وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاء وَتَعْزِزُ مَنْ تَشَاء وَتَنْذِلُ مَنْ تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

* تُولِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِّجُ النَّهَارَ فِي الْلَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ
وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}. آل عمران 26-27.

المقالة التاسعة والستون

في الأمر بطلب المغفرة والعصمة والتوفيق والرضا والصبر من الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : لا تطلب من الله شيئاً سوى المغفرة للذنوب السابقة والعصمة منها في الأيام الآتية اللاحقة، و التوفيق لحسن الطاعة، و امثال الأمر و الرضا بمر القضاء، و الصبر على شدائ드 البلاء، و الشكر على جزيل النعماء و العطاء، ثم الوفاة بختامه الخير، و اللحوق بالأنبياء و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقاً و لا تطلب منه الدنيا و لا كشف الفقر و البلاء إلى الغناء و العافية، بل الرضا بما قسم و دبر، و اسئلته الحفظ الدائم على ما أقمتك فيه و أحلك و ابتلاك، إلى أن ينكلك منه إلى غيره و ضده، لأنك لا تعلم الخير في أيهما، في الفقر أو في الغناء، في البلاء أو في العافية، طوى عنك علم الأشياء و تفرد هو عز و جل بمصالحها و مفاسدها.

فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا أبالي على أي حال أصبح، على ما أكره أو على ما أحب، لأنني لا أدرى الخير في أيهما. قال ذلك لحسن رضاه بتدبیر الله عز و جل، و الطمأنينة على اختياره و قضائه. قال الله تعالى : {كُتبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}. البقرة 216.

كن على هذا الحال إلى أن يزول هواك و تنكسر نفسك فتكون ذليلة مغلوبة تابعة ثم تزول إرادتك و أمانيك، و تخرج الأكوان من قلبك و لا يبقى في قلبك شئ سوى الله تعالى، فبممتلىء قلبك بحب الله تعالى، و تصدق إرادتك في طلبه عز و جل فيرد إليك الإرادة بأمره بطلب حظ من الحظوظ دنيوية و أخرى، فحينئذ تسأله عز و جل بذلك و تطلبه ممثلاً لأمره، إن أعطاك شكرته و تلبست به، و إن منعك لم تتسرّع عليه و لم تتغير عليه في باطنك و لا تتهمنه في ذلك بدخل، لأنك لم تكن طلبته بھواك و إرادتك، لأنك فارغ القلب عن ذلك غير مرید له، بل ممثلاً لأمره بالسؤال و السلام.

المقالة السبعون

في الشكر و الاعتراف بالقصص

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : كيف يحسن منك العجب في أعمالك و رؤية نفسك فيها و طلب الأعواض عليها، و جميع ذلك بتوفيق الله تعالى و عونه و قوته و إرادته و فضله، و إن كان ترك معصيته فبمعصمتها و حفظه و حميته.

أين أنت من الشكر على ذلك و الاعتراف بهذه النعم التي أولاكمها، ما هذه الرعونة و الجهل، تعجب بشجاعة غيرك و سخائه و بذل ماله إذا لم تكن قاتلاً بعودك إلا بعد معاونة شجاع ضرب في عدوك ثم تميّت قتله، لولاه كنت مصروعاً مكانه و بدلته، و لا باذلاً لبعض مالك إلا بعد ضمان صادق كريم أمين ضمن لك عوضه و خلفه، لولا قوله و طمعك فيما وعد لك و ضمن لك ما بذلت حبة منه، كيف تعجبك بمجرد فعلك.

أحسن حالك الشكر و الثناء على المعين و الحمد لله الدائم و إضافة ذلك إليه في الأحوال كلها إلا الشر و المعاشي و اللوم، فإنك تصيفها إلى نفسك و تنسبها إلى الظلم و سوء الأدب و تتهمها به، فهي أحق بذلك لأنها مأوى لكل شر و أمارة بكل سوء و داهية وإن كان هو عز و جل خالقك و خالق أفعالك مع كسبك، أنت الكاسب و هو الخالق كما قال بعض العلماء بالله عز و جل : تجيء و لا بد منك، و قوله صلى الله عليه وسلم : (اعملوا و قاربوا و سدوا فكل ميسر لكم خلق له).

المقالة الحادية السبعون

في المرید والمراد

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لا يخلو إما أن تكون مریداً أو مراداً.

إِنْ كُنْتَ مَرِيدًا فَأَنْتَ مَحْمُولٌ وَ حَمَالٌ يَحْمِلُ كُلَّ شَدِيدٍ وَ ثَقِيلٍ، لَأَنَّكَ طَالِبٌ وَ الطَّالِبُ
مَشْقُوقٌ عَلَيْهِ حَتَّى يَصُلُّ إِلَى مَطْلُوبِهِ وَ يَظْفَرُ بِمَحْبُوبِهِ وَ يَدْرُكُ مَرَامِهِ، وَ لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَنْفَرَ مِنْ
بَلَاءٍ يَنْزَلُ بِكَ فِي النَّفْسِ وَ الْمَالِ وَ الْأَهْلِ وَ الْوَلَدِ، إِلَى أَنْ يَحْطُّ عَنْكَ الْأَعْمَالِ، وَ يَزَالُ عَنْكَ
الْأَثْقَالُ، وَ يَرْفَعُ عَنْكَ الْآلَامَ وَ يَزَالُ عَنْكَ الْأَذْى وَ الْإِذْلَالُ، فَتَصَانُ عَنِ جَمِيعِ الرَّذَائِلِ وَ الْأَدْرَانِ
وَ الْأَوْسَاخِ وَ الْمَهَانَاتِ وَ الْافْتَقَارِ إِلَى الْخَلِيقَةِ وَ الْبَرِيَّاتِ، فَتَدْخُلُ فِي زَمْرَةِ الْمَحْبُوبِينَ الْمَدَلِّلِينَ
الْمَرَادِينَ.

وَ إِنْ كُنْتَ مَرَادًا فَلَا تَتَهَمِّنَ الْحَقَّ عَزَّ وَ جَلَّ فِي إِنْزَالِ الْبَلِيهِ بِكَ أَيْضًا، وَ لَا تَشْكُنَ فِي
مَنْزِلَتَكَ وَ قَدْرَكَ عَنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ، لَأَنَّهُ قَدْ يَبْتَلِيكَ لِيَلْعَلُكَ مَبْلَغُ الرَّجُلِ، وَ يَرْفَعُ مَنْزِلَتَكَ إِلَى مَنَازِلِ
الْأُولَائِ.

أَتَحِبُّ مَا يَحْطُّ مَنْزِلَتَكَ عَنْ مَنَازِلِهِمْ وَ دَرَجَاتِهِمْ وَ أَنْ تَكُونَ خَلْعَتَكَ وَ أَنْوَارَكَ وَ
نَعِيمَكَ دُونَ مَا لَهُمْ، إِنْ رَضِيْتَ أَنْتَ بِالْدُونِ فَالْحَقُّ عَزَّ وَ جَلَّ لَا يَرْضِي لَكَ بِذَلِكَ . قَالَ تَعَالَى :
{وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}. الْبَقْرَةُ 216+آل عمران 66. النور 19. يَخْتَارُ لَكَ الْأَعْلَى وَ
الْأَسْنَى وَ الْأَرْفَعُ وَ الْأَصْلَحُ وَ أَنْتَ تَأْبِي.

إِنْ قَلْتَ: كَيْفَ يَصْلَحُ ابْتِلَاءُ الْمَرَادِ مَعَ هَذَا النَّعِيمِ وَ الْبَيَانِ مَعَ أَنَّ الْابْتِلَاءَ إِنَّمَا هُوَ لِلْمُحَبِّ، وَ
الْمَدَلِّلُ إِنَّمَا هُوَ الْمَحْبُوبُ.

يقال لك ذكرنا الأغلب أولاً و سمرنا بالنادر الممكן ثانياً.

لا خلاف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان سيد المحبوبين أشد الناس بلاء، وقد قال صلى الله عليه وسلم (لقد خفت في الله ما لا يخافه أحد، وقد أؤذيت في الله لم يؤذه أحد، وقد أتني علي ثلاثون يوماً و ليلة و ما لنا طعام إلا شيء يواريه إبط بلال) و قد قال صلى الله عليه وسلم (إنما معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل) و قد قال صلى الله عليه وسلم (أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه حوفاً) فكيف يتلى المحبوب و يخوف المدلل المراد و لم يكن ذلك إلا بما أشرنا إليه من بلوغ المنازل العالية في الجنة لأن المنازل في الجنة لا تشيد و لا ترفع بالأعمال في الدنيا.

الدنيا مزرعة الآخرة، وأعمال الأنبياء والأولياء بعد أداء الأوامر وانتهاء النواهي و الصبر و الرضا و الموافقة في حالة البلاء يكشف عنهم البلاء و يواصلون بالتعيم و الفضل و الدلال و اللقاء أبد الآباد، و الله أعلم.

المقالة الثانية والسبعون

في من إذا دخل الأسواق و مال إلى ما فيها
و من إذا دخلها و صبر

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : الذين يدخلون الأسواق من أهل الدين و النسك في خروجهم إلى أداء ما أمر الله تعالى من صلاة الجمعة و الجمعة و قضاء حوائج تسنح لهم على أضرب :

منهم من إذا دخل السوق و رأى فيه من أنواع الشهوات و اللذات تقييد بهما و علقت بقلبه فتن، و كان ذلك سبب هلاكه و تركه دينه و نسكه و رجوعه إلى موافقة طبعه و إتباع هواه إلا أن يتداركه عز و جل برحمته و عصمته و إصباره إياه عنها فتسلم.

و منهم من إذا رأى ذلك كاد أن يهلك بها رجع إلى عقله و دينه و تصرير و تجرع مرارة تركها، فهو كالمجاهد ينصره الله تعالى على نفسه و طبعه و هواه، و يكتب له الشواب الجزييل في الآخرة. كما جاء في بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : (يكتب للمؤمنين بترك شهوة عند العجز عنها أو عند المقدرة سبعون حسنة) أو كما قال.

و منهم من يتناولها و يتلبس بها و يحصلها بفضل نعمة الله عز و جل التي عنده من سعة الدنيا و المال، و يشكر الله عز و جل عليها.

و منهم من لا يراها و لا يشعر بها، فهو أعمى عن ما سوى الله عز و جل، فلا يرى غيره، و أصم عما سواه فلا يسمع من غيره، عنده شغل عن النظر إلى غير محبوبه و اشتئائه، فهو في معزل عما العالم فيه فإذا رأيته و قد دخل السوق فسألته عما رأى في السوق يقول ما رأيت شيئاً. نعم قد رأى الأشياء لكن قدر رآها ببصر رأسه لا ببصر قلبه، و نظرة فجاءت لا نظرة شهوة، نظر صورة لا نظر معنى، نظر الظاهر لا نظر الباطن، فظاهره ينظر إلى ما في السوق و بقلبه ينظر إلى ربه عز و جل، إلى جلاله تارة و إلى جماله تارة أخرى.

و منهم من إذا دخل السوق امتلأ قلبه بالله عز و جل رحمة لهم، فتشغله الرحمة لهم عن النظر إلى ما لهم و بين أيديهم فهو في حين دخوله إلى حين خروجه في الدعاء و الاستغفار و الشفاعة لأهله و الشفقة و الرحمة عليهم و لهم، و عينه مغروقة و لسانه في ثناء و حمد الله عز و جل بما أولى الكافية من نعمه و فضله فهذا يسمى شحنة البلاد و العباد، و إن شئت سميتها عارفاً و بدلاً و زاهداً و عالماً غبياً و بدلاً محباً مراداً و نائباً في الأرض على عباده، و سفيراً و

جهذاً و نفاذًا و هادياً و مهدياً و دالاً و مرشدًا فهذا هو الكبريت الأحمر و بيبة العقعق، رضوان الله عليه و على كل مؤمن مرشد الله وصل إلى انتهاء المقام، و الله الهادي.

المقالة الثالثة والسبعين

في قسم من الأولياء قد يطلعه الله على عيوب غيرهم

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : قد يطلع الله تعالى وليه على عيوب غيره و كذبه و دعوته و شركه في أفعاله و أقواله و إضماره و نيته، فيغار على الله لربه و لرسوله و دينه فيشتند غضب باطنه ثم ظاهره حاضراً و غائباً، كيف يدعى السلام مع العلل و الأوجاع الباطنة والظاهرة؟؟ و كيف يدعى التوحيد مع الشرك، و الشرك كفر و بعد عن قرب الله و هو صفة العدو و الشيطان اللعين، و المنافقين المقطوع لهم بالدرك الأسفل من النار و الخلود فيها فيجرى على لسان الولي ذكر عيوبه و أفعاله الخبيثة و وقاحتة بعراضه أحوال الصديقين و مزاحمته للفانيين في قدر الله و فعله، و المراد من على وجه الغيرة لله عز و جل، مرة على وجه الإنكار له و الموعظة له أخرى، و على وجه الغلبة بفعل الله عز و جل و إرادته و شدة غضبه على الكذب و أخرى فيضاف إلى الله عز و جل غيبة، فيقال أيغتاب الولي و هو يمنع منها أو يذكر الغائب و الحاضر بما يظهر عند الخواص و العوام؟؟ فيصير ذلك الإنكار في حقهم كما قال الله عز و جل : {وَأَثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا}. البقرة 219. في الظاهر إنكار المنكر و في الباطن إسخاط الرب و الاعتراض عليه فيصير حاله الخيرة، فيكون فرضه فيها السكوت و التسليم و طلب المساعي لذلك في الشرع، و الجواز لا الاعتراض على الرب و الولي يطعنان لافتئاته و كذبه، و قد يكون ذلك سبباً لإقلاله و توبته و رجوعه عن جهله و حيرته، فيكون كرهها للولي نفعاً للمغرور الهالك بغروره و رعونته. {وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}. البقرة 213. النور 46.

المقالة الرابعة والسبعون

فيما ينبغي للعقل أن يستدل به
على وحدانية الله تعالى

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : أول ما ينظر العاقل في صفة نفسه و تركيبه ثم في جميع المخلوقات والمبدعات فيستدل بذلك على خالقها وبمدعها، لأن فيه دلالة على الصانع و في القدرة المحكمة آية على الحكيم، فإن الأشياء كلها موجودة به.

و في معناه ما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهم في تفسير قوله تعالى : {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ}. الجاثية 13. فقال في كل شيء اسم من أسمائه و اسم كل شيء من اسمه، فإنما أنت بين أسمائه و صفاته و أفعاله، باطن بقدرته و ظاهر بحكمته، ظهر صفاته و بطن بذاته حجب الذات بالصفات و حجب الصفات بالأفعال، وكشف العلم بالإرادة و أظهر الإرادة بالحركات، و أخفى الصنع و الصناعة و أظهر الصنعة بالإرادة، فهو باطن في غيبه و ظاهر في حكمته و قدرته {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}. الشورى 11.

و لقد أظهر في هذا الكلام من أسرار المعرفة ما لا يظهر إلا من مشكاة فيها مصباح، أمره برفع يد العصمة اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل، أنالنا الله تعالى برకاتهم و حشرنا في زمرتهم و حرمتهم آمين.

المقالة الخامسة والسبعون

في التصوف و على أي شئ مبناه

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : أوصيك بتقوى الله و طاعته، و لزوم ظاهر الشرع و سلامه الصدر، و سخاء النفس، و بشاشة الوجه، و بدل الندى، و كف الأذى، و تحمل الأذى و الفقر، و حفظ حرمات المشايخ و العشرة مع الإخوان، و النصيحة للأصاغر و الأكابر، و ترك الخصومة، و الإرافق، و ملازمة الإيثار و مجانية الادخار، و ترك صحبة من ليس من طبقتهم، و المعاونة في أمر الدين و الدنيا .

و حقيقة الفقر أن لا تفتقر على من هو مثلك و حقيقة الغنى أن تستغنى عن من هو مثلك.

و التصوف ليسأخذ عن القيل و القال و لكن أخذ عن الجوع و قطع المألفات و المستحسنات، و لا تبدء الفقير بالعلم و إبدائه بالرفق، فإن العلم يوحشه و الرفق يؤنسه.

و التصوف مبني على ثمان خصال :

السخاء لسيدنا لإبراهيم عليه السلام
الرضا لسيدنا لإسحاق عليه السلام
الصبر لسيدنا لأبي ووب عليه السلام
الإشارة لسيدنا لزكرياء عليه السلام

الغربيّة لسيدنا ليحيى عليه السلام
التصوف لسيدنا الموسى عليه السلام
السياحة لسيدنا العيسى عليه السلام
الفقير لسيدنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

و على إخوانه من النبيين والمرسلين وآل كل و صحاب كل و سلم أجمعين

المقالة السادسة والسبعون

في الوصية

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : أوصيك أن تصحب الأغنياء بالتعزز، و الفقراء بالتلذل، و عليك بالتلذل والإخلاص، و هو دوام رؤية الخالق، و لا تتهمن الله في الأسباب واستكِن إليه في جميع الأحوال، و لا تضع حق أخيك اتكالاً على ما بينك و بينه من المودة.

و عليك بصحبة الفقراء بالتواضع و حُسن الأدب و السخاء، و أمت نفسك حتى تحبي، و أقرب الخلق من الله تعالى أوسعهم خلقاً، و أفضل الأعمال : رعاية السر عن الالتفات إلى ما سوى الله تعالى.

و الصولة بالحق و الصبر، و حسبك من الدنيا شيئاً : صحبة فقير و خدمة ولِي، و الفقير هو الذي لا يستغنى بشئ دون الله تعالى.

و الصولة على من هو دونك ضعف، و على من هو فوقك فخر، و على من هو مثلك سوء خلق.

و الفقر و التصوف جدان فلا تخلطهما بشئ من الهزل، وفقنا الله و إياكم و المسلمين آمين.

يا ولِي عليك بذكر الله في كل حال فإنه للخير جامع. و عليك بالاعتصام بحبل الله فإنه للمضار دافع. و عليك بالتأهب لتلقي موارد القضاء فإنه واقع.

و أعلم أنك مسئول عن حركاتك و سكاتك، فاشتغل بما هو أولى في الوقت و إياك و
فضول تصرفات الجوارح.

و عليك بطاعة الله و رسوله و من والاه و أدى إليه حقه و لا تطالبه بما يجب عليه، و ادع
في كل حال.

و عليك بحسن الظن في المسلمين و إصلاح النية لهم، و تسعى بينهم في كل خير، و
أن لا تبيت و لا أحد في قلبك شر و لا شحناء و لا بغض، و أن تدعوا لمن ظلمك، و راقب الله
عزّ و جلّ.

و عليك بأكل الحلال، و السؤال لأهل العلم بالله فيما لا تعلم، و عليك بالحياء من الله
سبحانه و تعالى.

و أجعل صحبتك مع من الله معه و أصحابه من سوى الله بصحبته، و تصدق في كل
صباح بقرصك و إذا أمسيت فصل صلاة الجنازة على كل من مات من المسلمين في ذلك اليوم
و إذا صليت المغرب فصلاة الاستخاراة و تقول بكرة و عشيًّا سبع مرات (اللهم أجرنا من النار
و حافظ على قول أَعُوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } . الحشر 22 . إلى آخر سورة الحشر، و الله الموفق و
المعين، إذ لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المقالة السابعة والسبعون

في الوقوف مع الله و الفناء عن الخلق

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : كن مع الله عز وجل كأن لا خلق، ومع الخلق كأن لا نفس، فإذا كنت مع الله عز وجل بلا خلق وجدت، وعن الكل فنيت. وإذا كنت مع الخلق بلا نفس عدلت وبقيت ومن التبعات سلمت، وأترك الكل على باب خلوتك، وأدخل وحدك تر مؤنسك في خلوتك بعين سرك، وتشاهد ما وراء العيان، وتزول النفس ويأتي مكانها أمر الله وقربه، فإذا ذكرت علم، وبعدك قرب، وصمتك ذكر، ووحشتك أنس.

يا هذا : ما ثم إلا خلق وخالق، فإذا اخترت الخالق فقل لهم : {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌ لِّي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ}. الشعراة 77.

ثم قال رضي الله عنه وأرضاه : من ذاق عرف، فقيل له : من غلت عليه مرارة صفرته كيف يجد حلاوة الذوق؟؟ فقال : يتعمل في الشهوات من قبله بقصد وتكلف.

يا هذا : المؤمن إذا عمل صالحًا انقلب نفسه قلباً وأدرك مدركات القلب، ثم انقلب قلبه سراً ثم انقلب الفناء فصار وجوداً وبقاء.

ثم قال رضي الله عنه وأرضاه : الأحباب يسعهم كل باب.

يا هذا : الفناء إعدام الخالق، وانقلاب طبعك عن طبع الملائكة، ثم الفناء عن طبع الملائكة، ثم لحقوك بالمنهاج الأول، وحينئذ يسقيك ربك ما يسقيك، ويزرع فيك ما يزرع.

إن أردت هذا فعليك بالإسلام ثم الاستسلام، ثم العلم بالله ثم المعرفة ثم الوجود. وإذا كان وجودك له كان كلك له.

الزهد عمل ساعة ، و الورع عمل ساعتين ، و المعرفة عمل الأبد.

المقالة الثامنة والسبعون

في أهل المجاهدة و المحاسبة و أولى العزم و بيان خصالهم

قال رضي الله تعالى عنه و أرضاه : لأهل المجاهدة و المحاسبة و أولى العزم عشر خصال جربوها، فإذا أقاموها و أحکموها بإذن الله تعالى وصلوا إلى المنازل الشريفة :

(الأولى) أن لا يحلف بالله عز وجل صادقاً و لا كاذباً عامداً و لا ساهياً، لأنه إذا أحکم ذلك من نفسه و عود لسانه رفعه ذلك إلى ترك الحلف ساهياً و عامداً، فإذا اعتاد ذلك فتح الله له باب من أنواره يعرف منفعة ذلك في قلبه، ورفعه في درجة و قوة في عزمه و في صبره و الشاء عند الإخوان، و الكراهة عند الجيران حتى يهتم به من يعرفه و يهابه من يراه.

(الثانية) يجتنب الكذب لا هازلاً و لا جاداً، لأنه إذا فعل ذلك و أحکمه من نفسه و اعتاده لسانه شرح الله تعالى به صدره و صفا به علمه، كأنه لا يعرف الكذب، و إذا سمعه من غيره عاب ذلك عليه و عيره به في نفسه، و إن دعا له بزوال ذلك كان له ثواب.

(الثالثة) أن يحذر أن يعد أحداً شيئاً فيخلفه، و يقطع العدة البتة فإنه أقوى لأمره وأقصد بطريقه، لأن الخلف من الكذب فإذا فعل ذلك فتح له باب السخاء و درجة الحياة و أعطى مودة في الصادقين و رفعة عند الله جل ثناؤه.

(الرابعة) أن يجتنب أن يلعن شيئاً من الخلق، أو يؤذى ذرة فما فوقها، لأنها من أخلاق الأبرار و الصديقين، و له عاقبة حسنة في حفظ الله تعالى في الدنيا مع ما يدخر له من الدرجات، و يستنقذ من مصارع الهالك، و يسلمه من الخلق، و يرزقه رحمة العباد، و يقربه منه عز و جل.

(الخامسة) أن يجتنب الدعاء على أحد من الخلق و إن ظلمه فلا يقطعه بلسانه، و لا يكافيه بقول و لا فعل، فإن هذه الخصلة ترفع صاحبها إلى الدرجات العلي. و إذا تأدب بها ينال منزلة شريفة في الدنيا و الآخرة، و المحبة و المودة في قلوب الخلق أجمعين من قريب و بعيد، و إجابة الدعوة و الغلوة في الخلق، و عز في الدنيا في قلوب المؤمنين.

(السادسة) أن لا يقطع الشهادة على أحد من أهل القبلة بشرك و لا كفر و لا نفاق، فإنه أقرب للرحمة، و أعلى في الدرجة و هي تمام السنة، و أبعد عن الدخول في علم الله، و أبعد من مقت الله و أقرب إلى رضاء الله تعالى و رحمته، فإنه باب شريف كريم على الله تعالى يورث العبد الرحمة للخلق أجمعين.

(السابعة) أن يجتنب النظر إلى المعاشي و يكف عنها جوارحه، فإن ذلك من أسرع الأعمال ثواباً في القلب و الجوارح في عاجل الدنيا، مع ما يدخره الله له من خير الآخرة. نسأل الله أن يمن علينا أجمعين و يعلمنا بهذه الخصال، و أن يخرج شهواتنا عن قلوبنا.

(الثامنة) يجتنب أن يجعل على أحد من الخلق منه مؤنة صغيرة و لا كبيرة، بل يرفع مؤنته عن الخلق أجمعين مما أحتج إليه و استغنى عنه، فإن ذلك تمام عزة العابدين و شرف المتقين، و به يقوى على الأمر بالمعروف و البهى عن المنكر، و يكون الخلق عنده أجمعين بمنزلة واحدة، فإذا كان كذلك نقله الله إلى الغناء و اليقين و الثقة به عز و جل، و لا يرفع أحداً

سواء، و تكون الخلق عنده في الحق سواء، و يقطع بأن هذه الأسباب عز المؤمنين و شرف المتقين، و هو أقرب باب الإخلاص.

(التاسعة) ينبغي له أن يقطع طعمه من الآدميين، و لا يطمع نفسه فيما في أدיהם، فإنه العز الأكبر، و الغنى الخاص، و الملك العظيم، و الفخر الجليل، و اليقين الصافي، و التوكل الشافي الصريح و هو باب من أبواب الثقة بالله عز و جل، و هو باب من أبواب الرهد، و به ينال الورع و يكمل نسكه، و هو من علامات المنقطعين إلى الله عز و جل.

(العاشرة) التواضع لأنه به يشيد محل العابد و تعلو منزلته، و يستكمل العز و الرفعة عند الله سبحانه و عند الخلق، و يقدر على ما يريد من أمر الدنيا و الآخرة و هذه الخصلة أصل الخصال وكلها و فرعها و كمالها، و بها يدرك العبد منازل الصالحين الراضيين من الله تعالى في السراء و الضراء و هي كمال التقوى.

و التواضع : هو أن لا يلقى العبد أحداً من الناس إلا رأى له الفضل عليه، و يقول عسى أن يكون عند الله خيراً مني و أرفع درجة، فإن كان صغيراً قال هذا لم يعص الله تعالى و أنا قد عصيت فلا شك أنه خير مني، و إن كان كبيراً قال هذا عبد الله قبلي، و إن كان عالماً هذا أعطي ما لم أبلغ، و نال ما لم أنل، و علم ما جهلت، و هو يعمل بعلمه و إن كان جاهلاً قال هذا عصى الله بجهل و أنا عصيته بعلم، و لا أدرى بما يختتم لي و بما يختتم له، و إن كان كافراً قال لا أدرى عسى أن يسلم فيختتم له بخير العمل، و عسى أن أكفر فيختتم لي بسوء العمل، و هذا باب الشفقة و الوجل، و أولى ما يصاحب و آخر ما يبقى على العباد، فإذا كان العبد كذلك سلمه الله تعالى من الغوائل، و بلغ به منازل الصيحة لله عز و جل و كان من أصفياء الرحمن و أحبابه، و كان من أعداء إبليس عدو الله لعنه الله و هو باب الرحمة ومع ذلك يكون قطع باب الكبر و جبال العجب، و رفض درجة العلو في نفسه في الدين و الدنيا و الآخرة، و هو مخ العبادة، و غاية شرف الزاهدين، و سيمان الناسكين، فلا شيء منه فضل، و مع ذلك يقطع لسانه عن ذكر العالمين و ما لا يعني، فلا يتم له عمل إلا به، و يخرج الغل و الكبر و البغي من قلبه في جميع أحواله، و كان لسانه في السر و العلانية واحداً، و مشيته في السر و العلانية واحدة، و كلامه

كذلك، و الخلق عنده في النصيحة واحد، و لا يكون من الناصحين، و هو يذكر أحداً من خلق الله بسوء أو يعيره بفعل، أو يحب أن يذكره عنده واحداً بسوء. و هذه آفة العابدين، و عطّب الناسك، و هلاك الزاهدين إلا من أعاذه الله تعالى و حفظ لسانه و قلبه برحمته و فضله و إحسانه.

تمت بعون الله

مقالات سيدى الغوث الأعظم قدس الله روحه

جمال الدين فالح الكيلاني

بغداد

تكميلة في ذكر وصاياه لأولاده قدس أرواحهم

و بعض مقالات نافعة أوردها

و مرضه و وفاته رضي الله عنه وأرضاه

انه رضي الله تعالى عنه وأرضاه لما مرض مرضه الذي مات فيه و قال له ابنه عبد الوهاب قدس سره، أوصني يا سيدني بما أعمل به بعدك فقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : عليك بتقوى الله عز و جل، و لا تحف أحداً سوى الله، و لا ترج أحداً سوى الله، وكل الحاجة إلى الله عز و جل، و لا تعتمد إلا عليه، و أطلبها جميعاً منه تعالى، و لا تتكل على أحد غير الله سبحانه، التوحيد التوحيد جماع الكل.

و قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : إذا صح القلب مع الله عز و جل لا يخلو منه شيء و لا يخرج منه شيء.

و قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : أنا لب بلا قشر.

و قال رضي الله تعالى عنه لأولاده : أبعدوا من حولي فإني معكم بالظاهر ومع غيركم بالباطن.

و قال رضي الله تعالى عنه : قد حضر عندي غيركم فأوسعوا لهم و تأدبو معهم، هاهنا رحمة عظيمة، و لا تضيقوا عليهم المكان.

و كان رضي الله تعالى عنه يقول : عليكم السلام و رحمة الله و بركاته، غفر الله لي و لكم، تاب الله على و عليكم، بسم الله غير مودعين. قال ذلك يوماً و ليلة.

و قال رضي الله تعالى عنه : ويلكم أن لا أبالي بشئ، لا بملك و لا بملك الموت، منح لنا من يتولانا سواك، و صاح صيحة عظيمة و ذلك في اليوم الذي مات في عشيه رضي الله تعالى عنه.

و أخبر ولداته الشيخ عبد الرزاق و الشيخ موسى قدسست أسرارهما أن حضرة الغوث رضي الله تعالى عنه كان يرفع يديه و يمدها و يقول : و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته، توبوا و أدخلوا في الصف إذا جئ إليكم.

و كان رضي الله تعالى عنه يقول : أوقفوا، ثم أتاه الحق و سكرة الموت.

و قال رضي الله تعالى عنه : بيني وبينكم وبين الخلق كلهم بعد ما بين السماء والأرض، فلا تقيسوني بأحد و لا تقيسونا على أحد، ثم سأله ولده الشيخ عبد العزيز قدس سره عن ألمه و حاله فقال رضي الله تعالى عنه : لا يسألني أحد عن شيء، أنا أتقلب في علم الله عز و جل.

و قال رضي الله تعالى عنه و قد سأله ولده الشيخ عبد العزيز قدس سره أيضاً عن مرضه، فقال رضي الله تعالى عنه : إن مرضي لا يعلمه أحد و لا يعقله أحد إنس و لا جن و لا ملك، ما ينقص علم الله بحكم الله، الحكم يتغير و العلم لا يتغير {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أَمْ الْكِتَابِ}. الرعد 39. - و - {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}. الأنبياء 23. أخبار الصفات تمر كما جاءت.

و سأله ولده الشيخ عبد الجبار قدس سره : ماذا يؤلمك في جسمك؟ فقال رضي الله تعالى عنه : جميع أعضائي تؤلمني إلا قلبي فما به ألم و هو مع الله عز و جل، ثم أتاه الموت فكان رضي الله تعالى عنه يقول : استعنت بلا إله إلا الله سبحانه و تعالى، و الحي الذي لا يخشى الموت، سبحانه من تعز بالقدرة و قهر عباده بالموت، لا إله إلا الله محمد رسول الله.

و أخبر ولده الشيخ موسى قدس روحه أنه قال : لما قربت وفاة حضرة الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه كان يقول : تعزز و لم يؤدها على الصحة فما زال يكررها حتى إذا قال تعزز و مد بها صوته و شدّها حتى صاح لسانه، ثم قال الله الله الله ثم خفي صوته و لسانه متتصق بسقف حلقه، ثم خرجت روحه الكريمة رضوان الله تعالى عليه.